الوصايا

بحث في

الخلافة بعد الرسول

صلى الله عليه وآله

في القرآن

والسنة

ضريح النجف الأشرف

(الجزء الرابع)

الشيخ

محسن يعقوب الخزاعي


شبكة الفكر
alfeker.net

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

{ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب }

إعمل جميلاً ما استطعت فإنما
هذه الحيـــاة دقـــائق وثواني
لم يبق للإنســـان إلا ذكـــره
في الصـــالحـات وكل شيء فـانِ

طبع على نفقة الوجيه
المحسن أبو ذو الفقار العريان

الطبعة الثانية

١٠٠٠ نسخة

٤ ربيع الآخر ١٤٢٣ هـ - ١٥ يونيو ٢٠٠٢م

النسخة الأصلية محفوظة

ويجوز لمن يرغب بإعادة طباعته

من قبل المؤلف وله الأجر والثواب

للمراسلة

النجف الأشرف، ص.ب ٢٢٤٢٩

الكويت ، تلفون : ٢٥٧٢٦٧٢





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

والحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم السلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وحبيب آله العالمين أبي القاسم محمد (ص) وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين يا ليتنا كنا معهم فنفوز فوزاً عظيماً.

إن مدرسة الوحي التي رافقت رسول الله (ص) في كل حركاته وسكناته ومنطقه والتي لخصتها الآية الكريمة : ﴿ **وَمَا ينطق عن الهوى إن هُوَ إلا وَحيٌ يوحى** ﴾ .

هذه الشخصية النبوية الرسالية تجسدت في شخصية أمير المؤمنين علي (ع) كما قال (ع) يصف متابعته وعلاقته الروحية بالنبي (ص) والإنشداد السلوكي والفكري إلى ما يقوله رسول الله (ص) حيث يقول الإمام علي (ع) : " وقد علمتم موضعي من رسول الله (ص) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وأنا ولد يضمني إلى صدره ويكنفني إلى فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيئ ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلةً في فعل ، ولقد قرن الله به من لدن أن كان فطيماً أعظم ملكٍ من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره ، ولقد كنت أتبعه إتباع الفصيل أثر أمه ، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني

بالإقتداء به ، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (ص) وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوه ، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه (ص) ، فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال : هذا الشيطان آيس من عبادته ، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي ولكنك وزيرٌ وإنك لعلى خير . (ج٢ / خطبة ١٩٢ نهج البلاغة ، لمحمد عبده) .

وهذه الملازمه لشخصية النبي (ص) ، جعلت من أمير المؤمنين علي (ع) روحاً وسلوكاً وخُلُقاً نبوياً مسدداً من الله سبحانه وتعالى ، يفتح مسامع علي كما يفتح مسامع النبي (ص) لصوت السماء وكذلك يرى علي (ع) ما يرى النبي لمشاهد الغيب ، إلا أنه ليس بنبي ، ثم يأتي القرآن في آية المباهلة يؤكده أن علياً نفس النبي ، قال تعالى : ﴿ **فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين** ﴾ .

حيث دعا النبي (ص) الحسنان بمنزلة الأبناء والزهراء (ع) بمنزلة النساء وعلي (ع) بمنزلة نفس النبي (ص) .

وتأتي الآية الأخرى التي تطهره من كل رجس ودنس وإنحراف ، قال الله تعالى : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ . إلى غير هذه الآيات التي شهدت لعلي (ع) بكل ما هو ضروري وأساسي في شخصية القائد الوارث لمهمة النبي (ص) في بناء

الأمة الإسلامية الصالحة التي تواكب الصراط المستقيم ، وإذا رجعنا إلى أحاديث النبي (ص) سوف نجد كماً هائلاً وحديثاً مستوعباً لأبعاد تلك الشخصية التي ربتها يد النبي (ص) ، مثل حديث المنزلة : " أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي " ، والحديث الآخر : " علي مع الحق والحق مع علي " ، ثم نرجع إلى سيرة علي (ع) في عبادته وفي علمه وفي خوضه لكل المعارك التي وقعت بين المسلمين والمشركين فنجد علياً رجل المحراب وبحر العلم وفارس الميدان يذب عن وجهه ولم تعرف شخصيةٌ في كل هذه الميادين غير النبي (ص) وعلي (ع) فهو الرجل الثاني رتبةً من بعد النبي (ص) .

ويختار الله سبحانه وتعالى نبيه (ص) إلى جواره . وهذه الأوراق التي بين يديك عزيزي القارئ ما هي إلا مشاركة متواضعه في بيان أحقية أمير المؤمنين (ع) . نسأل الله التوفيق والسداد والسير والاقتداء .

التأريخ

يوم الإثنين ٨/٤/٢٠٠٢م

الموافق ٢٥من محرم ١٤٢٣هـ

❖ الخلافة بعد النبي (ص)

قبل كل شيئ لا بد وأن نعرف ما كان ينبغي ان يحدث والرسول (ص) على قيد الحياة حيث قال آتوني بدوات وكتف[1] لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً .... إلخ ، وهذا ما نعتقده أن النبي (ص) هو الذي يختار لأمته من يقودها بعده وذلك لسببين :

١) أن الأمة كانت قادمة على أخطار وفتن تصهر الرجال صهراً ، والنبي (ص) كان يعرف ذلك . وعلى هذا كان ينتظر منه أن يختار ربانا لسفينة الأمة ليقودها في لجج تلك الفتن وأن لا يترك أمر قيادتها للأنتخاب .

٢) إن الأمة لا بد لها من مرجع ترجع إليه في تأويل القرآن ومعرفة السنن لأن الرسول (ص) لم يترك تفسيرا للقرآن مكتوباً ولا سننا مدونة له . والحصول على مرجع يعرف مقاصد القرآن كما هي وحقائق السنن لا تكون بالأنتخاب ، لأن انتخاب الأصحاب لشخص لا يغير شخصية المنتخب ولا يجعله عالما كامل العلم إذا لم يكن كذلك . ولن تحصل الأمة على مرجع من هذا النوع إلا بعهد نبوي ، لأن النبي (ص) يعرف أعلم أصحابه .

وعلى هذا لعل قائل يقول ان كل ما توحي به الأسباب المذكورة هو إنه كان يتوقع أن يعهد النبي (ص) إلى شخص معين يحمل كل المؤهلات لقيادة الأمة ولكنها لا تثبت لأن ما كان يتوقع قد حدث .

---

(١) الكتف هو عضم عريض يكون في أصل كتف الحيوان لإنهم كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس عندهم .

نعم ، ويأتي الجواب على هذا السؤال الذي ينحل إلى سؤالين مهمين:

١) هل كان بين أصحاب الرسول (ص) من كان يحمل كل المؤهلات بما فيها المعرفة الكاملة بتعاليم الشريعة الإسلامية ؟

٢) إذا كان وجد بين الأصحاب شخص من هذا النوع فهل عهد إليه الرسول (ص) ؟

واننا نجد الجواب على هذين السؤالين في عديد من التصريحات النبوية التي أدلى بها الرسول (ص) في مواقف متفرقة .

تأتي تباعاً:

❖ أولاً : حديث الدار

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.[٢]

وقد دعا رسول الله (ص) يوم ذاك بني عبد المطلب أعضاء عشيرته الأقربين ، وهم يومئذٍ ثلاثون أو أربعون ، لمأدبة كان فيها قليل من الطعام وقليل من اللبن ، فأكلوا وشربوا حتى شبعوا وارتووا ، وحينما حانت الفرصة تكلم رسول الله (ص) فقال (كما رواه الإمام علي(ع)): " يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه ، فايكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم ؟ قال : فأحجم القوم عنها جميعا ، فقلت : .... أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه ، فأخذ برقبتي ، ثم قال : هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فأسمعوا له وأطيعوا ، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : " قد أمرك أن تسمع لإبنك وتطيع " .

لقد أخرج الطبري هذا الحديث في تاريخه [٣]، وذكره ابن الأثير في تاريخه الكامل [٤]، وأبو الفداء في تاريخه [٥]، والخازن علاء الدين

---

(٢) سورة الشعراء (رقم ٢٦) آية ٢١٤ - ٢١٦ .

(٣) ج٢ ص٢١٦ .

(٤) ج٢ ص٢١ .

(٥) ج١ ص١١٦ .

البغدادي في تفسيره [٦]، والسيوطي في جمع الجوامع [٧] نقلا عن الطبري وفي ص٣٩٧ نقله عن الحفاظ الستة : ابن إسحق وابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم والبهيقي ، وأخرجه ابن إبي الحديد في شرح نهج البلاغة [٨]، ومحمد حسين هيكل في حياة محمد (الطبعة الأولى ص١٠٤) . [٩]

---

(٦) ص ٣٩٠ .

(٧) ج٦ ص٣٩٢ .

(٨) مجلد ٣ ص٢٥٤ .

(٩) نقد ذلك الشيخ الأميني في كتابه الغدير ج ٢ - ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

❖ ثانياً : حديث المنزلة

وكما لا يخفى ان الرسول (ص) أعلن يوم انذر عشيرته الأقربين امام ثلاثين أو اربعين رجلا من بني عبد المطلب انه اتخذ علياً (ع) أخاً له ووصيا وخليفة من بعده مكافأة له على وعده للرسول بأن يكون وزيره في مهمته ، وقد كان هذا الحادث بعد بدء النبوة بثلاث سنين وقبل الهجرة بعشر سنوات .

وقد كان من الواضح ان الرسول (ص) أراد في ما فعله يوم انذار العشيرة ان يحذوا حذو موسى حينما دعا ربه قائلاً (كما يحدثنا القرآن) :

﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي .... ﴾[١٠]

وإذا كان النبي (ص) قد فاه بتصريحه يوم انذار العشيرة أمام ثلاثين أو أربعين من بني عبد المطلب فإنه أدلى بعد تسعة عشر عاماً من يوم الانذار بتصريح مماثل أمام الآلاف من المسلمين في غزوة تبوك .

ففي شهر رجب من السنة التاسعة بعد الهجرة غادر الرسول (ص) المدينة على رأس جيش يبلغ خمساً وعشرين ألفا من اتباعه ، قاصداً حدود سوريا مستخلفاً علياً (ع) في المدينة ، ولكن ذلك أحزن علياً (ع) لأنه لم يحب أن يفارق الرسول (ص) ، وسمع أن أناساً أشاعوا أن الرسول (ص) خلفه لأنه كره صحبته .

---

(١٠) سورة طه : الآية ٢٩ .

ومهما كان السبب فإن علياً (ع) لحق بالرسول (ص) وهو لا يزال قريبا من المدينة وجرت بينهما محاورة ، أدلى فيها الرسول (ص) بتصريح خطير ، روته الصحاح والكتب المعتبره ، وقد روى البخاري عن سعد بن أبي وقاص ما يلي :

" إن رسول الله (ص) خرج إلى تبوك واستخلف علياً (ع) ، فقال (علي (ع)) أتخلفني في الصبيان والنساء ؟ "

قال (الرسول (ص)) : ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا إنه ليس نبي بعدي [11] .

وروى البخاري أيضاً إن سعدا قال :

" قال النبي (ص) لعلي (ع) : " أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ " [12]

وروى الإمام أحمد في مسنده .[13]

والحاكم في صحيحه المستدرك [14] عن ابن عباس حديثاً فيه ما يلي:

" خرج الرسول (ص) بالناس في غزوة تبوك ، فقال له علي (ع) أخرج معك ، قال له : لا ، فبكى علي (ع) ، فقال له (الرسول (ص)) : أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا إنك لست بنبي ؟ إنه لا ينبغي ان اذهب إلاَّ وانت خليفتي " .

---

(١١) ج٦ ص٣ .
(١٢) ج٥ ص٢٤ .
(١٣) ج١ ص١٣١ .
(١٤) ج٣ ص١٣٣ .

وروى محمد بن سعد في الطبقات عن زيد بن أرقم والبراء ابن عازب إنهما قالا في شأن غزوة تبوك :

ان الرسول (ص) قال لعلي (ع) : انه لا بد ان اقيم أو تقيم فخلفه فلما خرج رسول الله (ص) غازياً ، قال أناس : ما خلف علياً (ع) إلا لشيئ كرهه منه ، فبلغ ذلك علياً (ع) ، فاتبع رسول الله (ص) حتى انتهى إليه (واخبره بما تحدث به الناس) فتضاحك وقال : يا علي (ع)، أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير إنك لست بنبي؟ (١٥)

وروى ابن هشام في السيرة النبوية ان النبي (ص) قال لعلي (ع) يوم ذاك :

" أفلا ترضى يا علي (ع) ، ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا إنه لا نبي بعدي ؟ " (١٦)

وروى مسلم في صحيحه بعدة طرق عن سعد بن أبي وقاص ان رسول الله (ص) قال لعلي (ع) يوم ذاك :

أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبوة بعدي ؟ " (١٧) .

---

(١٥) ج٣ ص٢٥ .
(١٦) ج٢ ص١٧٦ .
(١٧) ج١٥ ص١٧٦ .

روى أحمد بأربعة طرق[١٨]، وابن ماجة في سننه[١٩]، والترمذي في سننه وأحمد[٢٠]، والحاكم في المستدرك[٢١] .

قال ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب :

" قال النبي (ص) (لعلي (ع)) : انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبوة بعدي " والروايات كثيره في هذا الباب .[٢٢]

ان حديث المنزلة يعطي علياً (ع) كل رتب هارون عدا النبوة ، وهارون كان أخاً ووزيراً لموسى والقرآن ينطق بذلك : ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِن أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ .[٢٣]

وهارون نائب موسى والذي كان يقوم مقامه ، والقرآن يشهد بذلك :

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ .[٢٤]

وهارون كان كموسى ، قائداً لبني إسرائيل جميعهم وأعطي من الله سلطانا كسلطان موسى ، والقرآن ينطق بذلك :

---

(١٨) ج١ ص١٧٥ - ١٧٧ - ١٧٩ - ١٨٢ .

(١٩) ج١ ص٤٥ .

(٢٠) المسند ج٦ ص٣ - ٣٢ .

(٢١) ج٣ ص١٠٩ .

(٢٢) ج٣ ص١٠٩٧ .

(٢٣) سورة طه : آية ٢٩ - ٣١ .

(٢٤) سورة طه : آية ١٤٢ .

قال الله لموسى : ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ . (٢٥)

ان قوله تعالى وأنتما ومن اتبعكما الغالبون يدل بجلاء على ان جميع الذين آمنوا بموسى هم اتباع لهارون كما أنهم اتباع لموسى .

والآية أيضاً تنطق بأن الله اعطى كليهما سلطاناً ومناعة فلن يصل الكفار إليهما بسوء وأن الفوز لهما ولأتباعهما على خصومهم .

وعلي (ع) بمقتضى التصريح النبوي له في حديث المنزلة تكون له مثل هذه الرتب ، فهو أخ للرسول (ص) وقد شد الله عضد أخيه الرسول محمد (ص) به مع الفارق بين الاخوين ، فأخوة هارون لموسى كانت بالولادة غير مكتسبة بمجهود ، إما أخوة علي (ع) لمحمد (ص) فهي أعظم أهمية لأنها لم تأت إلى علي (ع) بالولادة بل كانت نتيجة لإخلاص علي (ع) لله سبحانه وتعالى ولرسوله (ص) وللمواهب التي كانت في شخصية علي (ع) ، وهو وزيره ، وهو نائب للرسول (ص) يحل محله ، وهو قدوة للمسلمين كما إن الرسول (ص) قدوة حسنة متبوع للمسلمين جميعاً ، وهل تعني الخلافة شيئاً أكثر من ذلك ؟

ولقد أعلن الرسول (ص) بهذا التصريح ان وزيره ونائبه ومن يجب على المسلمين جميعاً ان يتبعوه ويطيعوه كما يتبعونه (ص) ويطيعونه ، وكل ذلك قد تضمنه حديث انذار العشيرة وحديث المنزلة .

---

(٢٥) سورة القصص : آية ٣٥ .

وقـد وصـف أبو تمام الطائـي علياً (ع) وجهـاده في الله فـأجـاد حين قال :

أخـوه إذا عُـدَّ الفـخـار وصـهـره
فـلا مـثـله اخ ولا مـثـله صـهـرُ

وشـد بـه ازر الـنـبـي مـحـمـد
كـمـا شـد من مـوسى بهـارونه الأزرُ

ومـا زال كـشـافـا دياجـيـر غـمـرة
يمـزقـهـا عـن وجـهـه الفـتـح والنصـر

هـو السـيف سـيف الله في كل مـشـهـد
وسـيف الرسـول لا ردان له ولا دثـر

فـأيُّ يـد لـلـذم لم يبـر زنـدهـا
ووجـه ضـلال ليـس فـيـه أثـر

ثـوى ولأهـل الـديـن أمـن بـحـده
وللـواصـمين الـديـن في حـده ذعـر

يُسـدُّ به الـثـغـر المخـوف من الـردى
ويعـتـاض من أرض الـعـدو به الـثـغـر

بـأحـد وبـدر حين مـاج بـرجـلـه
وفـرسـانـه أحـد ومـاج بـهـم بـدر

ويوم حنين والنضــــيـــــر وخــــيــــبـــــر

وبالخنــدق الثــاوي بعـــقـــدتـــه عـــمــــرو

ســـمــــا للمنايا الحـــمـــرُ حـــتـى تكشــفت

وأســــيــافـــه حـــمـــر وارمـــــاحــــه حــــمـــــر

مـــشــــاهـــد كــــان الله كـــاشف كــــربهــــا

وفَـــــــارِجـــه والامـــر ملتـــــــبس إمـــرُ

وقد يقول قائل ان الحديث صدر في مورد خاص : هو نيابة علي (ع) عن الرسول (ص) اثناء مغيبه في غزوته إلى تبوك ، وكذلك كان هارون نائباً عن موسى اثناء ذهابه إلى ميقات ربه ، ومعنى ذلك ان الحديث لا يدل على نيابة علي (ع) عن النبي (ص) بصورة عامة .

يمكن أن يقول ذلك مجادل يهمه دفع دلالة الحديث عى إختيار الرسول (ص) لعلي (ع) ، ولكن دلالة الحديث على ذلك واضحة لمن لا يريد أن يبتعد بالحديث عن معناه .

ولو كانت استنابة علي (ع) في مورد خاص لكان شأن تلك الإستنابة شأن استنابة إي واحد من الأصحاب الذين استخلفهم النبي (ص) علي (ع) المدينة ، ولما كان لستخلاف علي (ع) إي تمييز أو مغزى خاص ، ولكان كل من استخلفه النبي (ص) على المدينة من النبي (ص) بمنزلة هارون من موسى .

والجواب على هذا هو إن العلماء الذين يقولون هذا القول نسوا ان الرسول (ص) استخلف على المدينة أبا لبابة حينما ذهب إلى بدر وابن

عرفطة يوم دومة الجندل وابن أم مكتوم أيام غزوات بني قريضه وبني لحيان وذي قرد ، واستخلف أبا ذر يوم بني المصطلق ونميله يوم خيبر وابن الأضبط يوم عمرة القضاء وابارهم يوم فتح مكة وابا دجانة يوم حجة الوداع .[٢٦] فهل نقل عن النبي (ص) انه قال لأي واحد من هؤلاء النواب (وهم من خيرة الأصحاب) : أنت مني بمنزلة هارون من موسى ؟ كلا إنه لم يفعل ذلك .

والواقع إن الرسول (ص) اتخذ من تلك المناسبة وسيلة واستعملها منبرا ليعلن فضل علي (ع) وقيادته للأمة واستخلافه إياه وإنه هو وحده نائب النبي (ص) ، وكفى بإستثناء النبوة دليلا على عموم المنزلة المعطاة لعلي (ع) ، فالواقع ان الرسول (ص) يقول ان منزلة علي (ع) منه كمنزلة هارون من موسى اخوةً ووزارة ونيابة عامة وقيادة للأمة وكل رتبة أخرى كانت لهارون سوى رتبة النبوة ، على ان الحديث يدل بوضوح على ان حرمان علي (ع) من النبوة لم يكن لعدم أهليته لها بل لأن محمداً خاتم الأنبياء ، ولو لم يكن خاتم الأنبياء لكان علي (ع) بدليل قول النبي (ص) : " يا علي (ع) إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى ، ولكنك لست بنبي وإنك على خير " .[٢٧]

وان نيابة هارون عن اخيه موسى يوم ذهب إلى الميقات لم تكن في الحقيقة نيابة موقتة ، بل جاءت لأنها مركزه الطبيعي بين الإسرائيلين

---

(٢٦) ذكر ذلك كله ابن هشام في سيرته حيث ذكر في كل غزوة من هذه الغزوات من استخلفه النبي (ص) (ع) على المدينة خلال قدمها .

(٢٧) الخطبة القاصعة ، نهج البلاغة .

حيث انه كان النائب العام لموسى ومتى غاب رئيس الامة فإن نائبه يحل محله بصورة طبيعية كجزء من وظيفته العامة ، وإن القرآن ينطق بإن هارون كان كموسى قائداً لجميع بني إسرائيل :

قال الله لموسى : ﴿ **سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَابِأيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ** ﴾.

وإذا كان لعلي (ع) نفس المنزلة فإنه ، كالرسول (ص) ، قائد لجميع المسلمين ، ونيابته عنه لدى مغيبه تكون أمرا طبيعياً وجزءاً من نيابته العامة لأنه نائب رئيس الدولة ، وهذا بعض ما عاناه الرسول (ص) من تصريحه في حديث ابن عباس الذي رواه الحاكم والإمام أحمد إن النبي (ص) قال له : " أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انك لست بنبي ؟ إنه لا ينبغي ان أذهب إلا وأنت خليفتي " .

ومن الجدير بالذكر إن الرسول (ص) فاه بحديث المنزلة في غير حادثة تبوك ، فقد روت أم سليم زوجة ابي أيوب الأنصاري التي كان يحترمها الرسول (ص) ويزورها ان الرسول (ص) قال لها :

" يا أم سليم ان علياً (ع) لحمه من لحمي ودمه من دمي وهو مني بمنزلة هارون من موسى ".[٢٨]

وروى الطبري عن ابن عباس ان الرسول (ص) قال لعلي (ع) يوم المؤاخاة (وقد كان هذا قبل حملة تبوك بثمان سنوات) :

---

(٢٨) ورواه العقيلي (مختصر كنز العمال ، هامش الجزء الخامس من مسند أحمد ص٣٣) .

" . . . . أغضبت يا علي (ع) (ملاطفا لعلي (ع) ملاطفة الأخ لأخيه) حين آخيت بين المهاجرين والأنصار ولم أواخ بينك وبين أحد منهم ؟ أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ألا أنه لا نبي بعدي ؟ " . [٢٩]

وروت أسماء بنت عميس (زوجة جعفر الطيار) إنها قالت :

" سمعت رسول الله (ص) يقول لعلي (ع) : أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه ليس بعدي نبي " [٣٠] وبالطبع لم تكن أسماء في غزوة تبوك ، فهي سمعت ذلك من الرسول (ص) في غير حادثة تبوك .

وقد يعجب القارئ لأن علماء الجمهور لم يروا في حديث المنزلة دليلا على إن علياً (ع) نائب الرسول (ص) وخليفته بالرغم من وضوح صحة سند الحديث ودلالته .

وري الإمام النسائي في الخصائص العلوية إنه لما اختصم جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثه والإمام علي (ع) على كفالة يتيمة حمزة سيد الشهداء قال الرسول (ص) فيما قال :

" يا علي (ع) أنت مني بمنزلة هارون من موسى ..... " [٣١] وأخرج الحسن بن بدر والحاكم في الكنى والشيرازي في الألقاب وابن النجار

---

(٢٩) نفس المصدر .

(٣٠) ورواه ابن عبد البر في الإستيعاب ج٣ ص١٩٨ وروى الإمام أحمد مثله في المسند ج٦ ص٣٦٩ .

(٣١) المراجعات لشرف الدين ص١٧٦ - ٢٥ .

ان الرسول (ص) قال لعلي (ع) ، وأبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح عند النبي (ص) :

" يا علي (ع) أنت أول المؤمنين إيماناً وأولهم إسلاما وأنت مني بمنزلة هارون من موسى .... " [٣٢] وعن زيد بن أوفى ان رسول الله (ص) قال لعلي (ع) يوم المؤاخاة (في السنة الأولى من الهجرة) : " والذي بعثني بالحق ، وما اخرتك الا لنفسي ، وانت مني بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبي بعدي ، وأنت أخي ووارثي .... " [٣٣]

ان هذه الأحاديث وسواها مما لم ننقله تدل دلالة واضحة على أن علياً (ع) كان من النبي (ص) بمنزلة هارون من موسى وأن له كل مراتبه ما عدا النبوة ، فهو نائبه العام (لا في مورد خاص) ، وهو كالنبي (ص) قائد للمسلمين أجمعين وتابعين له ، ولم تكن هذه القيادة المعطاة له إلا بوحي من الله لرسوله الأعظم (ص) .

لقد تحدث الرسول (ص) عن تشابه منزلة علي (ع) وهارون مراراً ، وفي مواقف عديدة ، وكان آخر موقف تحدث فيه الرسول (ص) عن ذلك يوم حملة تبوك في شهر رجب من السنة التاسعة بعد الهجرة ، وبعد بضعة أشهر في تلك السنة وقف موقفا يشبه هذا الموقف حينما بعث أبا بكر ليقرأ على الحجيج سورة البراءة .

فلننظر ماذا كان ؟

---

(٣٢) كنز العمال رقم الحديث ٦٠٣ ج١٦ .

(٣٣) كنز العمال ج١ ص٤١ (رقم الحديث ٩١٩)

❖ ثالثاً : حديث الأداء والتبليغ

وروى الحاكم المستدرك بسنده عن جميع بن عمير الليثي ان عبد الله قال له :

" ان رسول الله (ص) بعث أبا بكر وعمر ببراءة إلى أهل مكة فانطلقا فإذا براكب فقال : من هذا ؟ قال : أنا علي (ع) ، يا أبا بكر ، هات الكتاب الذي معك ، قال : ومالي ؟ قال : والله ما علمت إلا خيرا ، فأخذ علي (ع) الكتاب وذهب به ورجع أبو بكر وعمر إلى المدينة ، فقالا : ما لنا يا رسول الله (ص) ؟ قال : ما لكما إلا خير ولكن قيل لي أنه لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك " . (٣٤)

وروى النسائي في خصائصه عن علي (ع) أن رسول الله (ص) بعث ببراءة إلى أهل مكة مع أبي بكر ، ثم اتبعه بعلي (ع) فقال له : خذ الكتاب فأمض به إلى أهل مكة ، قال : فلحقه فأخذ الكتاب منه فإنصرف أبو بكر وهو كئيب فقال لرسول الله (ص) : أنزل فيَّ شيئ ؟ قال : لا ، الا اني أمرت ان ابلغه أنا أو رجل من أهل بيتي " . (٣٥)

وروى الترمذي بسنده عن أنس بن مالك انه قال : بعث النبي (ص) ببراة مع أبي بكر ، ثم دعاه فقال : لا ينبغي لأحد ان يبلغ هذا إلا رجل من أهلي ، فدعا علياً (ع) فأعطاه إياه " . (٣٦)

---

(٣٤) ج٣ ص٥١ .

(٣٥) ص٢٠ .

(٣٦) صحيح الترمذي ج٢ ص١٨٣ (الفضائل الخمسة للفيروز بادي ج٢ ص٣٤٣ .

وروى ابن هشام في السيرة عن أبي جعفر محمد بن علي (ع) الباقر إنه قال :

" لما نزلت براءة على رسول الله (ص) وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليقيم للناس الحج ، قيل له يا رسول الله (ص) ، لو بعثت بها إلى أبي بكر ، فقال : لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي ، ثم دعا علي (ع) بن أبي طالب ، وقال له : أخرج ببراءة ... فخرج علي (ع) على ناقة رسول الله (ص) العضباء حتى أدرك أبا بكر في الطريق قال ابو بكر : أأمير أم مأمور ؟ فقال بل مأمور ، ثم مضيا فأقام أبو بكر للناس الحج .... حتى إذا كان يوم عرفه قام علي (ع) فأذن بالناس بالذي أمر به رسول الله (ص) .... " [٣٧]

ويظهر إن هذا الحادث كان معروفاً لأنه كان على ملإ من الناس ، لم ينكره عمر حين ذكره به ابن عباس ، فقد روى ابن عباس ما يلي :

" قال لي عمر : يا بن عباس ، ما أرى صاحبك (عليا) إلا مظلوماً ... فقلت : يا أمير المؤمنين ، فاردد إليه ظلامته ، فأنتزع يده من يدي ومضى يهمهم ساعة ، ثم وقف ، فلحقته فقال : يا بن عباس ، ما أظنهم منعهم عنه إلا إنه استصغره قومه (رأوه صغير السن) ....

فقلت : والله ما استصغره الله ورسوله حين أمره ان يأخذ براءة من صاحبك ، فأعرض عني واسرع فرجعت عنه " . [٣٨]

---

(٣٧) ج٢ ص٥٤٧ .

(٣٨) شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد مجلد ٣ ص١٠٥ .

وروى الحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الالب ص١٥١ بسنده عن الحرث بن مالك قال :

" أتيت مكة فلقيت سعداً بن أبي وقاص ، فقلت هل سمعت لعلي (ع) منقبه ؟ قال : قد شهدت له أربعاً لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من الدنيا أعمر فيها مثل عمر نوح ، ان رسول الله (ص) بعث أبا بكر ببراءة إلى مشركي قريش فسار بها يوماً وليلة ، ثم قال النبي (ص) لعلي (ع) : اتبع ابا بكر فخذها وبلغها ، فرد علي (ع) أبا بكر ، فرجع يبكي ، فقال : يا رسول الله (ص) أنزل في شيئ ؟ قال : لا إلا خيراً ، إنه ليس يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني أو قال : من أهل بيتي .... "[٣٩]

وسواء كان رسول الله (ص) قد بعث أبا بكر بسورة براءة أو كانت السورة قد نزلت بعد خروجه إلى الحج ، وسواء عاد أبو بكر من الطريق أو استمر في إمارته للحج فإن ما اتفقت عليه هذه الأحاديث ان الرسول (ص) أعلن إنه لا يبلغ عنه أو لا يؤدي عنه إلا رجل منه أو من أهل بيته (وفي الحديثين الأولين وحديث ابن عباس ان هذا كان بأمر من الله). وقد كان ذلك الرجل علي بن أبي طالب (ع) ...

ولابد ان نفهم ما قصده الرسول (ص) من قوله : لا يؤدي عني إلاَّ رجل مني (أو من أهل بيتي) .

بالطبع لم يقصد الرسول (ص) إنه لا ينبغي أن يروي أحد عنه قولاً أو عملاً إلا رجل من أهل بيته ؛ وإلاَّ لحرم على غير أهل بيته من

(٣٩) الغدير للعلامة الأميني ج١ ص٤٠ .

المسلمين أن يرووا عنه ، وهو واضح البطلان ، وقد كان الرسول (ص) يقول : فليبلغ الشاهد الغائب ، ولم يقصد الرسول (ص) أيضاً إنه لا يكون له رسول إلى الناس إلا من أهل بيته ، فقد أرسل رسلاً عديدين إلى الملوك والأمراء والقبائل والأفراد ولم يكن أولئك الرسل من أهل بيته .

إن ما قصده الرسول (ص) إنه لا يمثله في أداء تعاليم الشريعة ولا يقوم مقامه كمرجع للمسلمين إلا رجل من أهل بيته ، فلبقية الناس أن يرووا عن النبي (ص) أقواله وأفعاله ، ولكن ما يروونه قد يكون صحيحاً وقد يكون خطأ ، وكثيراً ما يلتبس الأمر على الرواة فيتناقضون في رواياتهم ، ولذلك لا يكون إي منهم مرجعاً عاماً للمسلمين وممثلا للرسول (ص) ، وقائماً مقامه كمبلغ للشريعة ، لابد وأن يكون رجلاً من أهل بيته .

يجب ان يكون حاملاً لعلمه ، عارفاً بكل ما نزل عليه من وحي عارفاً بكل ما قصد من الوحي والسنن ، ولا تشتبه عليه المعاني والتصريحات النبوية .

وهذا المعنى هو نفس ما قصده الرسول (ص) حينما قال :

" أنا مدينة العلم وعلي (ع) بابها فمن أراد العلم فليأت الباب " .

لقد أعلمنا الرسول (ص) إن أهل بيته في حياته كانوا أربعة : علياً (ع) وفاطمة (ع) وولديهما الحسنين (ع) :

" ولما نزلت هذه الآية : فقال : ﴿ فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[٤٠] دعا علياً (ع) وفاطمة (ع) وحسنا (ع) وحسينا (ع) فقال : اللهم هؤلاء أهلي " .[٤١]

وما كان بين هؤلاء الأربعة في زمن الرسول (ص) إلا رجل واحد : هو علي (ع) بن أبي طالب (ع) ، فقد كان الحسنان (ع) لا يزالان طفلين ، إذن فلم يكن يقصد الرسول (ص) بكلمة رجل في قوله : " لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي " . إلا علياً (ع) ولذلك بعثه بسورة براءة .

وما أراد الرسول (ص) حصر النيابة عنه بعلي (ع) لأنه من أقربائه فالنبي (ص) أعظم من أن يميز أقاربه على الناس لأنهم أقاربه هو الذي دعا الناس جميعاً إلى محو العصبيات القبلية وأعلن هدم الطبقية ، والحديثان الأولان ينطقان ، وكذلك حديث ابن عباس ، إن ذلك كان بأمر من الله لا بهوى بشري ، وما كان الله ليفضل علياً (ع) على بقية الناس إلا لأنه طهره وبقية أهل البيت (ع) من الرجس تطهيرا .

وبعد فإن هذه الأحاديث تدل على إن علياً (ع) كان النائب الوحيد للرسول (ص) ، وما كان أحد من المسلمين يحق له أن يمثل رسول الله (ص) سواه ، وقد روى حبشي بن جناده إنه قال :

---

(٤٠) سورة آل عمران : الآية ٦١ .

(٤١) صحيح مسلم ج١٥ ص١٧٦ .

" سمعت رسول الله (ص) يقول : علي (ع) مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا علي (ع) " ، رواه الترمذي في سننه [٤٢]، وقال هذا حديث حسن غريب صحيح ، ورواه بن ماجه في سننه [٤٣]، ورواه أحمد في مسنده بعدة طرق . [٤٤]

وعلى هذا فنيابة الإمام علي (ع) العامة وتمثيله للنبي (ص) يتضحان في الأحاديث الدالة على ان طاعة علي (ع) طاعة لله ورسوله وعصيانه عصيان لله ورسوله وإن مفارقته مفارقة لله ولرسوله وسبه سب لله ولرسوله وإن حب علي (ع) حب لله ولرسوله ومعداته معاداة لله ولرسوله ، فقد روى الحاكم في المستدرك عن أبي ذر إنه قال :

" قال رسول الله (ص) : من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع علياً (ع) فقد أطاعني ، ومن عصى علياً (ع) فقد عصاني " [٤٥] ، قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه الشيخان وصححه الذهبي في تعقيبه على المستدرك .

وقد روى الحاكم في مستدركه عديدا من الأحاديث في ان سب علي (ع) سب الرسول (ص) وحبه حب للرسول وعداءه عداء للرسول .

وقد يقول القائل : ان احاديث الأداء والتبليغ إنما تدل على إمامة علي (ع) في الفقه والدين لا على إمامته في الحكم والسياسة ، فهي

---

(٤٢) ج٥ ص٣٠٠ (رقم الحديث ٣٨٠٣) .
(٤٣) ج١ ص٤٤ رقم الحديث ١١٩ .
(٤٤) ج٤ ص١٦٤- ١٦٥ .
(٤٥) ج٣ ص١٣١ .

قاصرة عن الدلالة على خلافته ، ولكن الأحاديث الأخيرة الدالة على لزوم إطاعته كإطاعة رسول الله (ص) وتحريم عصيانه ومفارقته تتناول الادارة والسياسة كما تتناول الفقه ... أضف إلى ذلك ان الفصل بين الدين والدنيا غير وارد في الإسلام .

لقد كان حادث سورة البراءة في موسم الحج في السنة التاسعة بعد الهجرة ، وسيأتي الحديث عنه ضمن حديث الثقلين وان الرسول (ص) أدلى في السنة العاشرة من الهجرة بعد أداء حجة الوداع بتصريحات اتخذت شكل بلاغات عامة بحضور ألوف الحجاج وجهت إلى المسلمين جميعاً من كل حدب وصوب في يوم الغدير .

ولكي نحقق ما أراده الرسول (ص) من تلك التصريحات سنحاول أن نجزئها إلى قسمين بالرغم من إن الجزئين كثيراً ما إجتمعا في تصريح واحد ، هذان الجزءان هما : حديث الثقلين وحديث الولاية .

❖ رابعاً : حديث الثقلين

لقد اتضح مما ذكرنا حتى الآن ان ما كان ينبغي ان يحدث هو الذي حدث وان الرسول (ص) فعل ما كان يمليه منطق مهمته ومنطق مبادئ دينه ومنطق الظروف الخطيرة التي كانت تحيط بأمته ودولته ومنطق حاجة المسلمين إلى مرجع ينصبه النبي (ص) للمسلمين ليعرفهم مقاصد القرآن وتصحيح السنن النبوية ، كل ذلك كان يضع على عاتق الرسول (ص) مسؤولية تعيين إمام للأمة ليقودها من بعده ، هذا ما كان يتوقع وما توقع هو ما حدث ، لقد أبلغ الرسول (ص) المسلمين بطرق متعددة إنه اختار لهم من يقودهم من بعده .

وقد ذكرنا إلى الآن أنواعا أربعة من التصريحات التي بلغ الرسول (ص) فيها المسلمين ان علياً (ع) إمامهم : لقد جعله مرجعهم حينما جعله باب مدينة العلم وأعلن ان من اراد العلم فليأت الباب ، واعلمهم يوم مؤتمر الدار ان علياً (ع) أخوه ووزيره ووصيه وخليفته ، واعلمهم في مواقف شتى ان علياً (ع) منه بمنزلة هارون من موسى في كل شيئ بإستثناء النبوة ، وأعلمهم إن الله أمره بأن لا يمثله في أداء الشريعة إلا نفسه أو علي (ع) ، وإن اطاعة علي (ع) اطاعة لله ولرسوله وعصيان علي (ع) عصيان لله ورسوله ، وما كان الرسول (ص) ليفوه بمثل هذه التصريحات الخطيرة إلا بوحي من الله : وإلا فكيف يمكن للرسول ان يعلن ان اطاعة علي (ع) اطاعة لله وعصيانه عصيان لله إذا لم يكن الله اعلمه بوحي واضح ان علياً (ع) لن يخالف في مستقبل حياته امر الله وتعاليم نبيه ، فالتصريح في نفسه يتضمن نبوءة واضحة ، وواضح انها

تحققت ، فقد عاش علي (ع) بعد الرسول (ص) نحوا ثلاثين سنة كان فيها صورة مصغرة للرسول الأعظم، إذا اقتفى أثره مئة في المئة ولم يخالف الله ورسوله لحظة في حياته .

وعلى هذا لقد تحدثنا إلى الآن عن أنواع أربعة من التصريحات النبوية وسنتحدث الآن عن تصريح نبوي من نوع آخر تضمنته أحاديث الثقلين ، وقد وضعنا أمام القارئ عددا من تلك الأحاديث في فصول أخرى .

ولكي لا نشق على القارئ فإننا نعيد ذكر ما وضعناه أمامه من تلك الأحاديث في ما مضى ونضيف ما ينبغي إضافته مما لم نسجله سابقاً من الأحاديث .

روى الترمذي في صحيح (سننه) عن جابر بن عبد الله الأنصاري إنه قال :

" رأيت رسول الله (ص) في حجته (حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة) وهو على ناقته القصواء يخطب ، فسمعته يقول : يا أيها الناس ، إني تركت فيكم من (اوما) ان أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي " . (٤٦)

وروى ابن جرير وابن عاصم والمحاملي في أماليه وابن راهويه إن علياً (ع) روى إن رسول الله (ص) قال :

---

(٤٦) ج٥ ص٣٢٨ حديث رقم ٣٨٧٤ ، وفي كنز العمال إن النسائي روى مثل ذلك عن جابر ج١ ص٤٤ (المراجعات لشرف الدين ص١٤) .

" فمن كان الله ورسوله مولاه فإن هذا علياً (ع) مولاه ، وقد تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعده : كتاب الله سببه بيده وسببه بأيديكم وأهل بيتي " . [٤٧]

وروى الترمذي عن زيد بن ارقم ان رسول الله (ص) قال : " إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى لأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض ، فأنظروا كيف تخلفوني فيهما " . [٤٨]

قال الترمذي : " وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد وزيد بن ارقم وحذيفة بن اسيد .... " .

وروى الحاكم عن زيد بن أرقم إنه قال :

" لما رجع رسول الله (ص) من حجة الوداع ونزل بغدير خم أمر بدوحات فقممن (كنس ما تحتها) فقال :

" كأني قد دعيت فاجبت ، إني تارك فيكم الثقلين ، أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله تعالى وعترتي أهل بيتي ، فأنظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض .... " . [٤٩]

وروى الحاكم عنه أيضاً ان الرسول (ص) قال فيما قال يوم غدير خم:

---

(٤٧) نقل ذلك المتقي الهندي في كنز العمال ج٥ (ص٢٣ حديث رقم ٣٥٦) .
(٤٨) ج٥ ص٣٢٩ ، رقم الحديث ٣٨٧٦ .
(٤٩) المستدرك ج٣ ص١٠٩ .

" أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا ان اتبعتموهما : وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي ..... " . (٥٠)

وروى مسلم في صحيحه عن زيد بن ارقم إنه قال : " قام رسول الله (ص) فينا خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال : أما بعد : الا أيها الناس ، فإنما انا بشر يوشك ان يأتي إلي رسول ربي فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين : أوّلهما كتاب الله ، فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ، فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : وأهل بيتي ، اذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي " . (٥١)

ومن تأمل في رواية مسلم لحديث زيد يرى ان فيها نقصاً ، فقد ذكر في صدرها ان الرسول (ص) ترك الثقلين فقال : أولهما كتاب الله ، وحينما جاء ذكر أهل بيته كان ينبغي ، إن يقول : وثانيهما أو أن يقول والآخر ، ولكنه لم يقل ذلك بل قال : وأهل بيتي ثم ذكرهم الله ثلاثا في أهل بيته ، وكان ينبغي ان يذكر السبب في تذكيرهم الله في أهل بيته بعد ذكر السبب في حثه على اتباع القرآن ، إذ علل ذلك بإن في القرآن الهدى والنور مع إن النبي (ص) ليس بحاجة إلى ذكر أي سبب في لزوم اتباع القرآن ، فكل مسلم يعرف إن فيه الهدى والنور ، وما كان ينبغي ان يذكر سببه هو تذكيره الناس في أهل بيته ، فماذا سبب التذكير المكرر المؤكد ؟

---

(٥٠) نفس المصدر .

(٥١) ج١٥ ص١٨٠ وروى الإمام أحمد مثله عن زيد بن أرقم ج٤ ص٣٦٧ .

هل ذلك لأنهم أقاربه وهو الذي يتبع القرآن بحقيقته ؟ والقرآن لا يميز أحدا على آخر إلاَّ بالتقوى ، فكيف يميزهم الرسول (ص) عن سواهم إذا لم يكونوا أتقى وأعلم من سواهم ؟

أم ان الرسول (ص) أراد من المسلمين ان يتمسكوا بأهل بيته كما يتمسكون بالقرآن لأن اتباع أهل البيت (ع) أمان من الضلال ؟ وهذا ما رواه الترمذي والحاكم وعدد كبير من الرواة عن زيد إنه ذكر ان الرسول (ص) أعلن في تصريحه ان اتباع الكتاب والعترة أمان من الضلال وان الكتاب والعترة لا يفترقان حتى يردا الحوض عليه .

والذي يبدو هو ان مارواه مسلم والإمام أحمد عن زيد بسندهما عن يزيد بن حيان كان في زمن عبيد الله بن زياد ، وهو عدوّ لأهل بيت الرسول (ص) وقاتل الإمام الحسين ، وكان زيد بن ارقم أو يزيد بن حيان الذي روى عنه يخشى سطوة بن زياد إن هو روى حديث الثقلين بتمامه ، فقد ذكر الإمام أحمد في مسنده ، بعد رواية الحديث عن يزيد بن حيان بالشكل الذي نقله مسلم في صحيحه ، إن زيداً بن ارقم قال له :

" بعث إلي عبيد الله بن زياد فأتيته فقال : ما أحاديث تحدثها أو ترويها عن رسول الله (ص) لا نجدها في كتاب الله تحدث ان له حوضاً في الجنة ؟ قال زيد : قد حدثناه رسول الله (ص) ووعيناه ، قال عبيد الله بن زياد : كذبت ولكنك شيخ قد خرفت ، قال زيد : إني قد سمعته اذناي ووعاه قلبي من رسول الله (ص) يقول : من كذب علي (ع) فليتبوأ مقعده من جهنم ، وما كذبت على رسول الله (ص) " .

واستنكار عبيد الله بن زياد لوجود حوض لرسول الله (ص) في الجنة يشعر بان ما كان حدث به زيد كان يضمن قول رسول الله (ص) في شأن كتاب الله والعترة : " انهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض " ، ولكن الإرهاب الإموي منع يزيد بن حيان من نقله .

وروى الإمام أحمد في المسند عن زيد بن ثابت ان الرسول (ص) قال :

" إني تارك فيكم خليفتين : كتاب الله وعترتي ، فأنظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض " . [٥٢]

وروى السمهودي الشافعي في جواهر العقدين كما في ينابيع الموده ص٤٠ ان أم سلمة (زوجة الرسول (ص)) قالت : " أخذ رسول الله (ص) بيد علي (ع) بغدير خم فرفعها حتى بان بياض إبطيه ، فقال : من كنت مولاه فعلي (ع) مولاه ، ثم قال : أيها الناس ، إني مخلف فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض " . [٥٣]

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري إن رسول الله (ص) قال : " إني أوشك ان أدعى فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي ، وإن اللطيف الخبير أخبرني إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ، فأنظروا كيف تخلفوني فيهما " . [٥٤]

---

(٥٢) ج٥ ص١٨١ وقد رواه عن زيد بن ثابت بطريقين .

(٥٣) الغدير للأميني ج١ ص١٧ .

(٥٤) المسند ج٣ ص١٧ ، وروى عنه ما يقرب من هذه الألفاظ في ص٢٦ .

وروى ابن كثير في كتاب البداية والنهاية [55] عن حذيفة بن اسيد انه قال ان رسول الله (ص) قال: " .... واني سائلكم حين تردون علي (ع) عن الثقلين ، فأنظروا كيف تخلفوني فيهما : الثقل الأكبر كتاب الله ، سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم فإستمسكوا به ، لا تضلوا ولا تبدلوا ، والثقل الأصغر : عترتي أهل بيتي ، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض " ، وقد روى ابن عساكر هذا الحديث عن حذيفة بن أسيد . [56]

وقد ذكرنا إن الترمذي قال في صحيحه إن حُذيفة بن أسيد من رواة الحديث ، لقد روى حديث الثقلين عديد من الصحابة ، ولذلك عُدَّ من الأحاديث المتواترة ، أو على الأقل من الأحاديث المستفيضة المعلومة الصدور ، ومن الأحاديث التي تشبه حديث الثقلين مضمونا حديث النجاة ، فقد روى الحاكم بسنده عن أبي ذر وصححه وهو آخذ بباب الكعبة " .

" من عرفني فأنا من عرفني ، ومن انكرني فانا أبو ذر : سمعت النبي (ص) يقول إلا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من قومه ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق " . [57]

وقد أخرج الخطيب في تاريخه ج١٢ ص٩١ مثل الحديث عن أنس ،

---

(٥٥) ج٥ ص٢٠٩ و ج٧ ص٣٤٨ .
(٥٦) الغدير ج١ ص٢٧ .
(٥٧) المستدرك ج٣ ص١٥١ .

وأخرج البزاز مثله عن ابن عباس وابن الزبير وأخرج مثله أيضاً ابن جرير عن أبي ذر وأبي سعيد الخدري ، وكذلك أخرجه أبو نعيم وابن عبد البر ومحب الدين الطبري وكثيرون آخرون . (٥٨)

والمقصود من التصريح النبوي المروي في هذا الحديث هو نفس المقصود من حديث الثقلين .

إن أحاديث الثقلين والنجاة تدل بوضوح إلى ان الرسول (ص) لم يترك أمته من دون قيادة من بعده ، بل أعلن لهم ان قيادة أمته في عترته الأطهار وان متابعة القرآن ومتابعتهم أمان من الضلال ، وما من شك بإن اتباع القرآن فرض على كل مسلم ، كذلك إتباع أهل البيت (ع) والسير وراءهم ، وان اعظم واجبات الأمة ان تؤمن نفسها من الضلال ، وإذا كان اتباع أهل البيت (ع) أمانا من الضلال فمن واجب الأمة ان تنقاد لهم .

والأحاديث هذه تنطق بوضوح بإن اختيار النبي (ص) عترته الطاهرة لقيادة الأمة لم يكن اختياراً بشرياً منه بل إلهيا ، معتمداً على الوحي وبأمر من الله تعالى ، فالرسول (ص) يقول ان الكتاب والعترة لن يفترقا ، وان اللطيف أخبره إنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض .

ومن الجدير بالذكر ان الأحاديث تتضمن نبوءة واضحة ، فما كان بإمكان الرسول (ص) كبشر ان يعرف ان أهل بيته سوف لا يفارقون القرآن ، سيما واثنان من أعضاء الأسرة (الحسن والحسين) كانا لا

---

(٥٨) الغدير للأميني ج٢ ص٣٠١ .

يزالان طفلين صغيرين والحديث يتناول كل أعضاء العترة المختارة ، الذين ولدوا بعد وفاته امثال الإمام زين العابدين علي بن الحسين (ع) والإمام محمد الباقر (ع) والإمام جعفر الصادق (ع) والأئمة من نسل الصادق (ع) وقد تحققت هذه النبوءة تماماً ، فكل من هؤلاء الأئمة كان عنواناً للطهارة والعلم والتقوى ، لم يفارق أحد منهم القرآن لحظةً واحده .

وقد توهم كثير من الناس ان حديث الثقلين يتصادم مع حديث الآمر بإتباع كتاب الله وسنة نبيه ، وهو الحديث الذي قدمناه حيث ذكرنا ان ابن هشام روى في سيرته ومالكاً في موطئه ان الرسول (ص) قال في خطبته في حجة الوداع :

" ..... فاعقلوا أيها الناس ، قولي فإني بلغت ، وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً : أمراً بيّناً : كتاب الله وسنة نبيه ..... "

ومن الجدير بالذكر إن هذه الرواية مرسلة لم يصح سندها وقد خلا حديث البخاري ومسلم من ذكر السنة إذ اقتصر حديثهما على ذكر كتاب الله ، راجع حديث مسلم في كتاب الحج من الجزء الثامن من حجة الوداع ص١٨٤ ولفظه : " وقد تركت فيكم ما إن تضلوا بعده ان اعتصمتم به : كتاب الله " وعلى كل حال فإن من المناسب ان نعامل الرواية كما لو كانت صحيحة صادرة من الرسول (ص) لنبحث مفادها .

لقد توهم الناس ان أمر الرسول (ص) بالإعتصام بالكتاب والسنة واعلانه ان الإعتصام بهما أمان من الضلال بمقتضى هذا الحديث

يتصادم مع أمره بإتباع الكتاب والعترة واعلانه ان اتباعهما أمان من الضلال بمقتضى حديث الثقلين ، والواقع ان الحديثين غير متصادمين بل يكمل أحدهما الآخر .

وقد ذكرنا إن حديث الإعتصام بالكتاب والسنة يدل على ان الرسول (ص) أراد من المسلمين ان يتبعوا معلوم السنة لا مظنونها والمعلوم من مقاصد القرآن لا ما ظن إنه مقصود القرآن ؛ لإن إتباع المظنون من السنن ليس أماناً من الضلال ، إن الأحاديث كثيراً ما يتعارض بعضها مع بعض ، وحينما يأخذ كل فريق من العلماء بما يظن إنه الصحيح منها وتختلف الآراء فيها سنداً أو دلالة ، لا يكون جميع الفرقاء مصيبين بل يكون بعضهم أو جميعهم على خطأ ، فأين الأمن من الضلال ؟ وحتى لو لم يكن هنالك أحاديث متعارضه ، بل كان هنالك حديث واحد من نوع خبر الواحد غير المتواتر المعلوم ، فإن اتبع ذلك الخبر المظنون الصحة لا يكون أماناً من الضلال ، لأن المظنون قد لا يوافق ما قاله الرسول (ص) ، ومعظم السنن أخبارا آحاد غير متواترة ولا مستفيضة .

وحتى الآيات القرآنية التي لا تتضح مقاصدها لا يكون اتباع تأويلاتها المختلفة التي قدمها المفسرون أماناً من الضلال ، لإنه لا يعلم أي التأويلات هو المقصود الإلهي ، وقد رأينا ان القائلين بالجبر يتمسكون بظواهر بعض الآيات والقائلين بالإختيار والحرية يتمسكون بظواهر آيات أخرى ، والفرق الإسلامية المختلفة يجادل بعضها بعضاً ويخالف كل منها الآخرين وكل من تلك الفرق يؤيد ما يدعيه بما يوافقه من ظاهر آية او رواية ، وكل من الفرقاء مخلص فيما يراه إنه حق ،

فأين الأمن من الضلال الذي يعدنا به رسول الله (ص) ان اعتصمنا بالكتاب والسنة ؟ هذا إذا كان الرسول (ص) يأمرنا بالعمل بمظنون السنن والمظنون من مقاصد الكتاب .

اما إذا كان الرسول (ص) يأمرنا بالعمل بمعلوم السنن والمعلوم من مقاصد الكتاب (وهذا هو ما يمثل ضمانة حقيقية ضد الضلال) فإنه يكون قد أمرنا بغير المقدور لأنه لم يترك لنا سنناً مدونة معلومة ، وما علم منها بواسطة التواتر قليل جداً ، ولم يترك لنا تفسيراً نبوياً للقرآن الكريم .

وإذ نعرف إن الرسول (ص) لا يأمر بعمل غير المقدور ، فمن المحتم ان يكون الرسول (ص) قد ترك لأمته وسيلة واضحة لمعرفة حقائق السنن ومقاصد كتاب الله .

هذه الوسيلة هي عترته ،أحد الثقلين اللذين تركهما الرسول (ص) للأمة وهذه هو الذي أعلنه حديث الثقلين ، وإذن فليس حديث الإعتصام بالكتاب والسنة متصادماً مع حديث الثقلين ، بل حديث الثقلين يكمل حديث الإعتصام ويفسره ، وبدون حديث الثقلين يكون محتوى حديث الإعتصام أمراً بغير المقدور ، وبواسطة حديث الثقلين يكون محتوى حديث الإعتصام أمراً بالمقدور ، ذلك إن حديث الثقلين يعلن للأمة إن أعضاء العترة الطاهرة هم مصادر العلم بحقائق السنن ومقاصد الكتاب ، فبإمكان الأمة أن تحصل بواسطتهم على ما تريده من علم بالشريعة إذا شاءت ، وهو ما يؤمنها من الضلال .

وهذا هو أيضاً مضمون ما أعلنه الرسول (ص) حينما قال : " أنا مدينة العلم وعلي (ع) بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب " .

فأقوال الرسول (ص) في هذا الباب متفقة جميعاً وتنصب على مقصد واحد وتشير إلى غاية واحدة وهي : إن واجب الأمة إتباع أعضاء العترة الطاهرة الذين هم أعلم الناس بعد الرسول (ص) بمقاصد الكتاب وسنن النبوة .

إن وجود من يعلم حقائق السنن لا يعوض عنه تدوين السنن لأن السنن لو دونت في زمن الرسول (ص) لأمكن دخول التغيير عليها والزيادة فيها ، ذلك إن السنن ليست كالقرآن الذي يعلوا على كلام الناس ويعجزون عن الإتيان بمثله ، إن سنن النبي (ص) كلام بشر يمكن أن يأتي الآخرون بمثله ، ويمكن في زمن تخط فيه الكتب باليد ان تختلف النسخ المتعددة زمنا بعد زمن وان يدخل عليها كثير أو قليل من التغيير ، ولذلك يكون وجود مصدر حي مضمون علما وصدقا انفع من سنن مدونة لأن المصدر الحي يتمكن من تصحيح ما ينقل الناس عنه خطأ وإيضاح ما يلتبس على الناس فهمه من كلام ، بينما الكتاب المدون لا يقوم بمثل هذه الوظائف .

ومن كل ذلك تعرف خطأ كثير من العلماء الذين يفكرون بان هنالك تصادماً بين أحاديث الثقلين الآمر بإتباع الكتاب وأهل بيت الرسول (ص) وحديث الإعتصام بالكتاب والسنة ومحاولة ترجيح أحد الجانبين على الآخر .

لقد قال الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه " الإمام الصادق " بعد أن ذكر أحاديث الثقلين وحديث الإعتصام بالكتاب والسنة ما يلي :

"ولكنا نقول ان كتب السنة الذي ذكرته بلفظ (سنتي) أوثق من الكتب التي روته بلفظ (عترتي) .[٥٩]

يقول الشيخ أبو زهره ذلك بالرغم من أحاديث مرسل غير مكتمل الإسناد وسنتي إلى الرسول (ص) ، في حين إن أحاديث الثقلين متواترة معلومة الصدور ، هذا وقد مر ان مسلماً روى في الجزء الثامن من صحيحه ان الرسول (ص) قال في حجة الوداع :

" وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده ان اعتصمتم به : كتاب الله وانتم تسألون عني ... " ولم يذكر السنة . وكذلك فعل الشيخ البخاري فذكر الكتاب ولم يذكر السنة .

ان الشيخ أبو زهرة نموذج لغيره من علماء الجمهور الذين يصعب عليهم استساغة أحاديث الثقلين مع إنها متواترة والمتواترة قطعي يجب الأخذ به ، إن صعوبة استساغة علماء الجمهور لأحاديث الثقلين تعود إلى سببين :

أولهما : إن تلك الأحاديث تدل على ان الرسول (ص) أراد ان تكون الخلافة في أهل بيته ، وهذا ما لا يريد علماء الجمهور القول به .

ثانيهما : إنهم توهموا تصادماً بين الأحاديث المذكورة وحديث الإعتصام بالكتاب والسنة وهنا كان معظم خطاهم .

---

(٥٩) ص١٩٩ .

إنهم لم ينتبهوا إلى ان امر الرسول (ص) المسلمين الأخذ بالسنة والسنة غير مدونة يكون أمراً بغير المقدور ان أرادمنهم ان يأخذوا بواقع السنة ومعلومها ، اما إذا أرد الأخذ بمظنونها لا تكون أماناً من الضلال .

والنبي (ص) يقول ، حسبما تنبئ به هذه الرواية ، ان المسلمين لن يضلوا إذا تمسكوا بالكتاب والسنة .

وقد غفل الشيخ أبو زهره عن حال نفسه حينما كان يكتب في هذا الموضوع ، فهو يرى ان حديث الإعتصام بالكتاب والسنة اصح من حديث الثقلين لأن الكتب التي روت سنتي أوثق من الكتب التي روت عترتي ، ومع ان دعواه هذه مردودة لأن حديث الثقلين قد احتوته كتب معتبرة كصحيح الترمذي والمستدرك للحاكم (الذي صححه الذهبي في تعقيبه) ومسند الإمام أحمد فإنا نغضي عن ذلك ونود ان ننبهه إلى تناقض أوقعته فيه غفلته : ان حديث الإعتصام ينطق بان اتباع الكتاب والسنة أمان من الضلال ، فإذا كان الشيخ أبو زهرة يفهم من كلمة سنتي السنن المظنونة فإنها لم تكن اماناً من الضلال في موضوع جدله ، فهو يقاتل سنة بسنة وحديث بحديث ، وكل من الحديثين الذين يراهما متصامدين يصلح حجة لفريق من المسلمين على ما يذهب إليه ، واحد الفريقين غير مصيب لا محالة إذا كان الحديثان متناقضين كما يراهما ، وكلا الحديثين سنة ، فأين الأمان من الضلال الذي وعد به حديث الإعتصام .

وقد أخطأ الشيخ حينما لم يفهم سنتي معلوم السنن لإنها هي التي

تؤمن من الضلال وأخطأ حينما جعل حديث الثقلين مرجوحا في حين إنه من معلوم السنن ومتواترها .

وأخطأ أيضاً حينما فكر في تصادم الحديثين ، وكان عليه وعلى سائر علماء الجمهور ان يروا في حديث الثقلين تكملة ضرورية لحديث الإعتصام بالكتاب والسنة ، إذا كان حديث الإعتصام بالسنه صحيحاً .

فلكي يصح معنى هذا الحديث فإن من الضروري ان يعين النبي (ص) مرجعاً لتعليم السنن وهذا ما تقوله أحاديث الثقلين التي عرف فيها النبي (ص) المسلمين عن الطرق التي يصلون بواسطتها إلى معرفة مقاصد الكتاب وحقائق السنة النبوية .

وقد اضاف الشيخ أبو زهرة إلى اعتراضه السابق اعتراضات أخرى فقال :

" وبعد التسليم بصحة اللفظ ، نقول إنه (حديث الثقلين) لا يقطع ، بل لا يعين من ذكرهم الشيعة من الأئمة الستة المتفق عليهم عند الإمامية الفاطميين .

وهو لا يعين أولاد الحسين دون أولاد الحسن ، كما لا يعين واحداً من هؤلاء بهذا الترتيب ، كما إنه لا يدل على ان الإمامة تكون بالتوارث ، بل لا يدل على إمامة السياسة ، وإنه أدل على إمامة الفقه والعلم ، ولا يدل على إمامة الحكم وشؤون الدولة ، ولا تلازم بين إمامة الفقه وإمامة السياسة ، فالنبي (ص) كان يولي بعض الأمور غير الأفقه لأن له مزايا إدارية أكثر من مزايا الفقيه فيه ، وقد كان يولي النبي (ص) أمرة المدينة في غيبته من لا قدم له في الفقه وإنه إذا كانت الولاية لفقه الدين

وفهمه لعم ذلك قيادة الجيوش وذلك منقوض بتولية اسامة بن زيد امرة جيش فيه ابو بكر وعمر ، وليس له بلا ريب فقهما ولا علمهما " .[٦٠]

وترى ان ما ذكره يتلخص في أمور ثلاثة :

أولاً : ان حديث الثقلين لا يعين الأئمة من أهل البيت (ع) ولا ترتيب امامتهم ، وهذا مدفوع بإن الكثير من أحاديث الثقلين ينص على علي بن ابي طالب (ع) ويعلنه مرجعاً بعد الرسول (ص) يمثل اتباعه ضمانة من الضلال ، والنص على علي (ع) يعطي علياً (ع) صلاحية انتقاء مرجع للأمة من بعده ، ومن بعده يتمكن أيضاً ان ينتقي المرجع الصالح من بعده ، وهكذا ، أضف إلى ذلك ان الرسول (ص) سمى أعضاء العترة الذين عاصروه ، وقد ذكر ان سعداً بن أبي وقاص روى ان النبي (ص) أخرج يوم المباهلة علياً (ع) وفاطمة (ع) والحسنين (ع) وقال : اللهم هؤلاء أهلي ، وسترى في حديث ام سلمة ان الرسول (ص) تحدث بمثل ذلك .

ثانياً : ان حديث الثقلين لا يدل على الإمامة بالتوارث ، ونحن معه ، ولكن مذهب اتباع أهل البيت (ع) لا يقول بالتوارث ، ويدل على ذلك ان قانون الوراثة يقضي بأن لا يرث الأخ إذا وجد الولد ، والشيعة يقولون بأن الإمام بعد الحسن لم يكن من أولاده بل كان الإمام بعده أخاه الحسين ، ان كل ما يقوله اتباع أهل البيت (ع) هو ان الإمامة في أهل بيت الرسول (ص) ، وان كل امام منهم ينتقي المرجع من بعده على أساس مؤهلاته التي يميز عن بقية الناس ، لا على اساس إنه من ولده أو انه ولده الأكبر .

---

(٦٠) نفس المصدر ص١٩٩ - ٢٠٠ .

❖ الشيعة لا يقولون بوراثة الإمامة

ويظهر انه صعب على الإستاذ ابي زهرة (كما صعب على كثير من علماء الجمهور) ان يتصور ان يكون أهل بيت الرسول (ص) اكثر مؤهلات للإمامة من بقية المسلمين ، ففكر ان اتباع أهل البيت (ع) يقولون بإمامة اعضاء تلك الأسرة من أجل الوراثة ، ولعل عدم استساغته لأحاديث الثقلين مع كثرتها تعود إلى ذلك ، حيث استبعد ان يكون أعضاء هذه الأسرة المكرمة أكثر أهلية من سواهم ففكر ان أحاديث الثقلين تعني الوراثة للإمامة ، وقد فاته ان ينتبه إلى السبب الذي من أجله ألزم النبي (ص) المسلمين بإتباع أهل بيته وهو انهم لا يفارقون القرآن لا لأنهم أهل بيته .

ولو ان الشيخ أبو زهره انتبه إلى عدد من آيات سورة آل عمران لما صعب عليه ان يتصور إمتياز آل بيت الرسول (ص) على سواهم في مؤهلاتهم للقيادة ففي السورة المذكورة نقرأ قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ واللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[61] وفي السورة نفسها نقرأ :

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ فَنَادَتْهُ المَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي المِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِن

---

(٦١) آية ٣٣-٣٤ .
(٦٢) آية ٣٨-٣٩ .

الصَّالحِينَ ﴾[٦٢] إلى ما هنالك من آيات أخرى في هذه السورة وسور أخرى تدل على ان الله خلق من ذراري الأنبياء وأقربائهم اناساً كانوا أعلى من بقية الناس علماً وطاعة لله ، ولذلك اصطفاهم على سواهم ، مكافأة لأولئك الأنبياء على ما بذلوا من جهود في هداية الناس، أو استجابة لدعاء أولئك الأنبياء كما يشعر في الآيات السابقة قوله تعالى : ﴿ **والله سميع عليم** ﴾ وقوله : ﴿ **انك سميع الدعاء** ﴾ .

ومحمد خاتم الأنبياء وأفضلهم وأحقهم بالمكافأة الإلهية وبأن يستجاب دعاؤه .

وقد دعا النبي (ص) لأهل بيته ، فقد روت أم سلمة زوجة الرسول (ص) إنه حينما نزل قوله تعالى :

﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ وكان علي (ع) وفاطمة (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) معه فأخذ فضل ردائه فغشاهم به ثم أخرج بيده فالوى بها نحو السماء ثم قال :

" اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً " .[٦٣]

ودعا لهم في صلاته حيث علم المسلمين أن يقولوا في صلواتهم عليه : اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

---

(٦٣) المستدرك ج٣ ص١٢٨ .

وقد روى الحاكم عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عن أبيه إنه قال:

" لما نظر رسول الله (ص) إلى الرحمة هابطة قال : إدعوا لي ، فقالت صفية : من يا رسول الله (ص) ؟ قال أهل بيتي : علياً (ع) وفاطمة والحسن (ع) والحسين (ع) ، جيئ بهم ، فألقى عليهم النبي (ص) كساءه ، ثم رفع يديه ، ثم قال : اللهم هؤلاء آلي فصلِ على محمد وعلى آل محمد ، وأنزل الله عز وجل: ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾ ، وقد قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد . (٦٤)

(٦٤) المستدرك ج٣ ص١٢٨ .

❖ السنة أقرب من الشيعة إلى القول بوراثة الإمامة

ومن كل ذلك تعرف ان اتباع أهل البيت (ع) لا يقولون بإمامة أهل البيت (ع) بسبب الوراثة كما توهم الشيخ أبو زهره وسواه من علماء الجمهور ، بل يقولون بإمامتهم لأن الرسول (ص) إختارهم لقيادة المسلمين إنما لأن الله طهرهم من الرجس تطهيراً ، أو لأنهم لا يفارقون القرآن قولاً ولا عملاً .

وعلى هذا لا بد وأن نعرف إن السنة هم الذين يقولون بالوراثة (من حيث لا يشعرون) استناداً إلى روايات تضمنتها الصحاح تدل على إن الخلفاء من قريش ، ولا تجيز أن يكون الخليفة غير قرشي ، وان عدد الخلفاء من قريش هو إثنا عشر ، وان هذه الخلافة ستبقى في قريش مادام في الناس إثنان .

وقد حصرة في قريش على لسان الرسول (ص) بأمر من الله ، فإن كان ذلك من أجل إن قرشيين أقرباء للرسول من بعيد أو قريب لأنهم يجمعهم مع الرسول (ص) جد واحد هو فهر بن كنانة فهو قول بالوراثة ، ولكنه قول بوراثة موسعة لا يقرها قانون التوارث في الإسلام ، إذ يجعل البعيد من الأقرباء مساوياً في حق الوراثة لأقرب الناس إلى النبي (ص) .

وإن كانت حصرة في قريش بأمر من الله ، لا من أجل قرابة القرشيين إلى النبي (ص) بل من أجل انهم من قريش فقط كان ذلك دعوة إلى الإيمان بتفوق قبلي وارستقراطية دخيلة على الإسلام ، إذ

تدعوا مبادئه إلى الإيمان بالمساواة بين المسلمين بصرف النظر عن القبيلة والقومية والجنس والموطن ، وان أكرمكم عند الله أتقاكم .

واذ كان هذان التفسيرات للأحاديث المشار إليها غير منطقيين فإن اللازم أن تفهم هذه الأحاديث النبوية على الوجه التالي :

إن الله جعل الخلافة في قريش إنه وجد أنه سوف يوجد في قريش اثنا عشر رجلا متفوقين على سائر المسلمين بعلمهم وتقواهم ومؤهلاتهم للقيادة وان هؤلاء سيكونون الخلفاء الشرعيين سواء وصلوا إلى الحكم أو منعهم الناس من الوصول إلى الحكم ، وانهم خلفاء لا لقرابتهم للرسول ولا لأنهم من قريش بل صادف إنهم كانوا من قريش وأقرباء للرسول ، كما إن النبي (ص) لم يكن نبياً لأنه من قريش أو من الهاشميين وان صادف إنه منهم ، بل هو نبي لمؤهلاته الشخصية ، وهو نبي ولو لم يؤمن من الناس بنبوته .

إذا كان هذا هو ما يراد من حديث حصر الخلافة في قريش لم يكن قولاً بالوراثة ، ويتفق هذا التأويل المنطقي مع مذهب الإمامية الإثنا عشرية ، ولكن علماء السنة لا يقولون بهذا التفسير بل يميلون إلى التفسير الأول والثاني والتفسير الأول يعني قولاً بالوراثة الخلافة التي ينكرها السنة ويتهمون بها الشيعة وهم منها براء .

❖ الإمامة في الفقه وحدها لا تكون ضمانة من الضلال

ثالثاً : إن غاية ما تدل عليه أحاديث الثقلين هو إمامة أهل البيت (ع) في الفقه لا في السياسة والحكم فهو غير صحيح ..

ان هدف الرسول (ص) الذي صرح به في أحاديث الثقلين هو إن تكون إمامة أهل البيت (ع) إماناً من الضلال ، وإمامة الفقه لا تكون ضمانة للمسلمين من الضلال حينما تكون القوة في غير يدها ، لإنها في الغالب لا تتمكن من إيصال تعاليمها إلى أيدي المسلمين ، إن وصول التعاليم إلى أيدي المسلمين بشكل عام يحتاج إلى الجو الإيجابي الملائم الذي يمكن الإمام من إعلان أقواله وإبلاغها إلى الملايين ، كما يحتاج إلى من يوجه الشعب بأجمعه إلى الأخذ بما يقوله ذلك الإمام والإعتقاد بصحته، وما دامت القوة في غير يد الإمام يكون ذلك الجو الإيجابي وذلك التوجيه للشعب مفقودين .

وعلى هذا فإن الخلفاء حينما يكونون غير الأئمة الذي أرشد الرسول (ص) إلى الأخذ بقولهم يميلون بطبيعتهم إلى عدم إبراز أولئك الأئمة ، ولا يرغبون في نشر علمهم ، وقد يحاولون نشر أقوال الآخرين من اتبعهم ممن لا يتوقعون منهم مزاحمة على الحكم ؛ مهما كانت منزلة هؤلاء ثانوية في العلم ، وقد طلب المنصور العباسي من الإمام مالك أن يؤلف كتاباً لينشر بين المسلمين لكي يكون مصدرهم الرئيسي في السنن ولم يكلف الإمام جعفر الصادق ليفعل ذلك مع ان الإمام الصادق إستاذ مالك ، وقد أخذ الناس عن عبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وعبد الله

بن عمر وابن عباس أكثر مما أخذوا عن الإمام علي (ع) بن أبي طالب مع الفارق الكبير بين علي (ع) وبين هؤلاء في العلم والإستاذ أبو زهره يذكر ما يلي :

" وإنه يجب أن نقرر هنا إن فقه علي (ع) وفتاويه واقضيته لم تروا في كتب السنة بقدر الذي يتفق مع مدة خلافته ولا مع المدة التي كان منصرفا فيها إلى الدرس والإفتاء في مدة الراشدين قبله ، وكانت حياته كلها للفقه وعلم الدين ، وكان أكثر الصحابة إتصالاً برسول الله (ص) ، فقد رافقه وهو صبي قبل ان يبعث وإستمر معه إلى أن قبض رسول الله (ص) ، ولذا كان يجب أن يذكر له في كتب السنة أضعاف ما هو مذكور فيها .

" وإذا كان لنا ان نتعرف السبب الذي من أجله إختفى عن جمهور المسلمين بعض مرويات علي (ع) وفقهه ، فإنا نقول إنه لا بد أن يكون لحكم الأموي أثر في إختفاء آثار علي (ع) في القضاء والإفتاء ، لأنه ليس من المعقول أن يلعنوا علياً (ع) فوق المنابر وان يتركوا العلماء يتحدثون بعلمه وينقلون فتاويه وأقواله للناس وخصوصاً ما كان يتصل منها بأساس الحكم الإسلامي " . (٦٥)

وعلى هذا ان أي قارئ لما كتبه علماء الحديث من أهل السنة يرى إن ما نقل في تلك الكتب من روايات أبي هريرة وعائشة يزيد عشرات الأضعاف عما نقل في تلك الكتب من روايات علي (ع) وبقية العترة

---

(٦٥) الإمام الصادق ص١٦٢ .

الطاهرة ، هذا بالرغم من ان أبا هريرة أسلم في السنة السادسة من الهجرة بينما كان علي (ع) مع الرسول (ص) قبل مبعثه إلى ساعة وفاته ، وبالرغم من ان الرسول (ص) أعلن ان علياً (ع) باب مدينة العلم (التي هي الرسول (ص)) وان من شاء العلم فليأت الباب .

وإذا اعترف الإستاذ ابو زهره بقلة ما روى عن علي (ع) في كتب السنة وان اسباب ذلك سياسية ، فقد كان من المنطق ان يستنتج من حديث الثقلين ان الرسول (ص) اراد من امته ان تنقاد إلى اهل بيته فقهاً وسياسة وحكماً ، لا فقهاً فقط ، ان النبي (ص) اعلن للأمة ان اتباعه للقرآن وللعتره امان من الضلال ، فلو حصر وظيفة العترة في امامة الفقه واجاز للأمة ان تنتخب سواهم للخلافة ، لهدم الغرض الذي تحدث عنه في حديث الثقلين وهو الضمانة من الضلال .

وان الناس حينما ينتخبون خليفة من خارج العترة سيرون في الخليفة رئيسهم الديني والزمني الذي يجب اطاعته وان كانت آراؤه واجتهاداته ضد منهاج العتره ، والخليفة المنتخب نفسه سيرى أيضاً من واجب الناس طاعته سيما وظاهر القرآن يؤيد ذلك : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول (ص) وأولي الأمر منكم ...** ﴾

بل سيرى الخليفة المنتخب والمسلمون ان من واجب الإمام من العترة أيضاً ان يطيعه وبذلك يكون الرسول (ص) دفع الناس إلى الحيرة والفوضى بدلاً من ان يؤمنهم ضد الضلال ، بل أجاز لهم ان يؤمروا ويطيعوا من لا يوافق قوله قولهم وامره امرهم ، وقد شهد التاريخ

الإسلامي خليفة راشدا يعمل برأي مروان بن الحكم أو كعب الأحبار بدلا من رأي رئيس العترة الطاهره علي (ع) بن أبي طالب .

والواقع ان التأويل الذي قدمه الإستاذ ابو زهره يتنافى مع منطوق حديث الثقلين ، فالرسول (ص) في حديث الثقلين صرح بوضوح ان هدفه وحدة القيادة اذ قال ان الثقلين اللذين تمثل فيهما القيادة لا يفترقان ، فهو لم يرد ان يتبع المسلمون اهل بيته لأنهم أهل بيته ، بل لأنهم لا يفارقون القرآن .

ومعنى ذلك ان قيادة القرآن وقيادة العترة واحدة ، ولأنهما لا يختلفان واحدهما (العترة) يفسر الآخر (القرآن) ويكشف للمسلمين عن حقيقة معانيه ومقاصده كان اتباعهما أمانا من الضلال ، ولو كانت العترة تخالف القرآن أحياناً لما كان اتباعها اماناً من الضلال ، ولكن اللطيف الخبير أخبر الرسول (ص) بأن القرآن والعترة لن يفترقا ، فالضمانة من الضلال تتمثل في نظر الرسول (ص) في وحدة القيادة دون ازدواجية .

وحينما يجيز الرسول (ص) للمسلمين أن يختاروا قيادة أخرى قد لا تتفق مع العترة زالت وحدة القيادة وزال معها الأمن من الضلال ، لأن الإزدواجية حلت محل الوحده .

فلكي يتحقق هدف الرسول (ص) وهو الأمن من الضلال يجب أن يكون مقصود الرسول (ص) قيادة العترة للأمة فقها وسياسة وادارة تجنباً للإزدواجيه في القيادة التي تؤدي إلى الضلال بدلاً من ان تكون أماناً منه .

فينبغي ان نبحث ما ذكره من ان أبو زهره من الممكن ان يولى الحكم غير الأفقه لأن له من المزايا الإدارية ما ليس للأفقه وان النبي (ص) كان يولي على المدينة في غيبته من لا قدم له في الفقه وانه لو كانت الولاية تلازم الفقه لعم ذلك قيادة الجيوش ، مع ان النبي (ص) ولى اسامة قيادة جيش فيه أبو بكر وعمر في حين لم يكن له مثل فقههما .

ان ما اوقع الشيخ ابا زهره في هذا هو انه نسي الهدف الأساسي الذي أعلنه الرسول (ص) في أحاديث الثقلين هو تأمين الأمة من الضلال ، ولو انتبه إلى الهدف النبوي لكان عليه ان يفرق بين ولاية محدودة كولاية على المدينة اثناء غيبة الرسول (ص) أو امرة على جيش وبين ولاية عامة كالخلافة ان تأمير غير الأفقه على جيش وتولية صحابي على المدينة اثناء غيبة الرسول (ص) لا يضران بضمانة الأمة من الضلال ما دام القائد الأعلى للأمة وللجيش هو النبي (ص) الذي بإستطاعته ان يصلح أخطاء من ولاهم ويردهم إلى الصواب ان ضلوا .

اما القيادة العامة للأمة التي يريد النبي (ص) أن تكون مأمنا من الضلال فإنها لن تحقق الهدف إذا اعطيت لذي علم محدود بتأويل القرآن والسنن ، فلو قائد من هذا النوع لم يكن هنالك فوقه قيادة تهيمن عليه وترده إلى الصواب ، لأنه القائد الأعلى فإذا ضل في إجتهاده ضلت الأمة معه ، ولو أراد من افقه منه من رعيته ان يرشده إلى الصواب وشاء هو أن لا يأخذ بإرشاده فليس للأفقه من سلطان عليه ، وقد حدث في خلافة عثمان ان ارتكب الخليفة عديداً من الأخطاء وحاول الإمام علي (ع) وسواه من الأصحاب الصالحين ان

يردوه إلى الصواب وشاء الخليفة ان لا يأخذ بإرشاداتهم فلم يفلحوا ووقعت الأمة في فتنة هوجاء لم تنته آثارها إلى يومنا هذا .

وعلى هذا إذا كان ابا زهره جديراً بتدبر حديث الثقلين بأعمق مما فعل، فإذا كان الرسول (ص) ينبئ عن الله ان اعضاء العترة الطاهرة لا يفارقون القرآن وانهم والقرآن أمان للأمة من الضلال فإنهم لا يكونون كذلك إلاّ إذا كانوا موهوبين أكثر من سواهم علماً وحكمة وفهماً ، وأحرى بهم ، إذا كانوا كذلك ان يكون لديهم مزايا الإدارة وحسن السياسة وحكمة الحكم .

وقد يقول القائل إنه لا فارق في النتيجة بين ان يكون الرسول (ص) قصد إمامة أهل بيته في الفقه فقط أو في الإدارة أيضاً ما دام المسلمون لم يأخذوا عنهم ولم يؤمروهم كما شاء الرسول (ص) .

والجواب على ذلك ان على الرسول (ص) ان يبين للأمة وان لا يبقي حجة لمحتج ، فلو جعل للعترة الإمامة في الفقه فقط واجاز للأمة ان تنتخب قيادة دينية زمنية من غيرهم لكان لمن لم يأخذ عن العترة حجته، ولكانت الحيرة والفوضى بسبب ترخيص الرسول (ص) بالإزدواجية في القيادة ، إما حين يعلن الرسول (ص) وحدة القيادة دينياً وزمنياً ثم لا يتمسك المسلمون بالعترة كما أراد فإن المسؤولية تكون عليهم لا عليه ، وهذا نظير مالو أرسل الله رسولاً فلم يؤمن الناس به ، إذ تكون الحجة لله عليهم ولا حجة لهم عليه .

وعلى أي حال فإن دلالة حديث الثقلين على قيادة العترة للأمة في

جميع الشؤون لا تحتاج إلى توضيح ، وما ورد من الإستاذ أبي زهره إنما هو تأويل وصرف للحديث عن معناه ، فما عناه الرسول (ص) هو ان لزوم اتباع الثقلين جاء بأمر من الله وان الوحي أخبره بإنهما لن يفترقا، ومعنى ذلك ان القيادة لعترته كقيادته هو في إنها عامة وشاملة بريئة من الإزدواجية التي يسببها اختلاف منهاج القائد مع القرآن .

والإسلام هو الدين الذي لا يفصل الدين عن الدنيا ، وما كانت قيادة الرسول (ص) دينية لا سياسية ، وما كان سواه من حاكم للمسلمين بل كان النبي (ص) هو الذي يقود الامة في شؤونها وكان أولى بالمؤمنين من انفسهم ، وهذا ما اراده ان يكون لعترته من بعده .

هذا مما ورد في حديث الثقلين ، وهو أحد جزأي الإعلان النبوي في غدير خم . وقد حان الوقت لنتحدث عن الجزء الثاني من الإعلان : إلا وهو حديث الولاية .

❖ خامساً : حديث الولاية

مما تواتر في أحـداث التـاريخ ان الرسـول (ص) أدَّى في السنة العاشرة من الهجرة (٦٣٢) حجة الإسلام التي تعرف بحجة الوداع . وقد أدى فريضة الحج بقيادة الرسول (ص) عشرات الألوف من المسلمين .

ومن معلوم أحداث هذه الحجة ان الرسول (ص) وهو في طريق عودته من الحج وقف وأوقف الألوف من الحجاج على ماء يدعى غدير خم (بين مكة والمدينة) ليبلغهم ان عليهم ان يتبعوا الثقلين اللذين سيخلفهما لهم، وهما : كتاب الله وعترة الرسول (ص) : وان الثقلين لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض (يوم القيامة) : وان علياً (ع) (رئيس العترة) أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما ان الرسول (ص) أولى بالمؤمنين من أنفسهم وان علياً (ع) مولى للمؤمنين كما ان الرسول (ص) مولى للمؤمنين .

وقد خطب الرسول (ص) يوم غدير خم خطبة طويلة حفظ منها الأصحاب القليل ما قاله ، وكانت هذه النقاط أو بعضها مما بقى في ذاكرة عديد من الأصحاب ، وقد حدث ان ناشد الإمام علي (ع) ، وهو في الكوفة ، من حضر مجلسه من الأصحاب ان يشهدوا بما سمعوا من رسول الله (ص) يوم الغدير (وكان ذلك بعد نحو من سبع وعشرين سنة من حادث الغدير) ، وبالرغم من قلة الأصحاب الذين بقوا إلى ذلك الوقت وقلة من كان منهم في الكوفة وقد شهد عديد منهم بأن الرسول (ص) أعلن يوم الغدير ولاية علي (ع) .

فقد روي عن ابي الطفيل (وهو صحابي) إنه قال :

" إن علياً (ع) قال : أنشد الله من شهد يوم غدير خم إلاَّ قام ، ولا يقوم رجل يقول : اني نبئت أو بلغني ، إلا رجل سمعت اذناه ووعاه قلبه ، فقام سبعة عشر رجلاً منهم خزيمة بن ثابت ، وسهل بن سعد وعدي بن حاتم وعقبة بن عامر وابو ايوب الأنصاري وابو سعيد الخدري وابو شريح الخزاعي وابو قدامة الأنصاري وابو ليلى (أو أبو يعلى) وابو الهيثم بن التيهان ورجال من قريش فقال علي (ع) : هاتوا ما سمعتم فقالوا :

" نشهد إنا اقبلنا مع رسول الله (ص) من حجة الوداع حتى إذا كان الظهر خرج رسول الله (ص) فأمر بشجرات فشذبن وألقى عليهن ثوب ، نادى بالصلاة فخرجنا ، فقال : ما أنتم قائلون ؟ قالوا : قد بلغت ، قال: اللهم أشهد (ثلاث مرات) ، قال : إني أوشك ان ادعى فأجيب ، وإني مسؤول وانتم مسؤولون ، ثم قال : أيها الناس ، إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ان تمسكتم بهما لن تضلوا ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ، نبأني بذلك اللطيف الخبير ، ثم قال : ان الله مولاي وأنا مولى المؤمنين ، ألستم تعلمون إني أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا بلى (قال ذلك ثلاثاً) ، ثم أخذ بيدك ياأمير المؤمنين فرفعها وقال : من كنت مولاه فهذا علي (ع) مولاه ، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه ، فقال علي (ع) : صدقتم وأنا على ذلك من الشاهدين " .(٦٦)

---

(٦٦) ينابيع المودة للقندوزي ص٤٢ . روى ذلك عن الإمام السمهودي نور الدين علي (ع) بن عبد الله الشافعي عن أبي نعيم في حلية الأولياء .

وروى الحافظ محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري في صحيحه المستدرك بسنده عن زيد بن ارقم إنه قال :

" لما رجع رسول الله (ص) من الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن ، فقال : كإني قد دعيت فأجبت ، إني قد تركت فيكم الثقلين ، أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله وعترتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ، ثم قال : إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن ، أخذ بيد علي (ع) فقال : من كنت مولاه فهذا وليه ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه " (٦٧) .

وروى بطريق آخر إن الرسول (ص) قال : " ... أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما ، وهما كتاب الله وأهل بيتي ، عترتي ، ثم قال : أتعلمون إني أولى بالمؤمنين من أنفسهم (ثلاث مرات) ؟ قالوا : نعم ، فقال رسول الله (ص) : من كنت مولاه فهذا علي (ع) مولاه " . (٦٨)

وترى ان هذه الأحاديث تحتوي ثلاثة أمور :

١- إن الرسول ترك لأمته ثقلين أو أمرين لا يفترق أحدهما عن الآخر وان اتباعهما أمان من الضلال ، هذان الثقلان هما كتاب الله وعترة الرسول (ص) .

٢-ان النبي (ص) أولى بالمؤمنين من أنفسهم وان الله مولى الرسول (ص) ، والرسول (ص) مولى المؤمنين .

---

(٦٧) ج٣ص١٠٩ .

(٦٨) نفس المصدر ص١١٠ .

٣- إن علياً (ع) كالنبي (ص) في إنه مولى المؤمنين .

وقد روى المحتويات الثلاث كل من جابر بن عبد الله الأنصاري وعامر بن ضمرة وحذيفة بن أسيد ، والإمام أمير المؤمنين علي (ع) وآخرون .

وقد روى المحتويين الأول والأخير الإمام علي (ع) وأم سلمة زوجة الرسول (ص) ، إذ قالت :

" أخذ رسول الله (ص) بيد علي (ع) بغدير خم فرفعها حتى رأينا بياض إبطيه فقال : " من كنت مولاه فعلي (ع) مولاه ، ثم قال : أيها الناس إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض " .

وقد مر في حديث الثقلين ان الإمام علي (ع) روى مثل هذا المعنى .

وقد روى المحتويين الآخرين عدد كبير من الأصحاب منهم أبو سعيد الخدري وأبو قدامة العرني وحذيفة بن أسيد وعامر بن ضمرة وزيد بن أرقم ، ومنهم البراء بن عازب روى ذلك عنه الإمام أحمد وابن ماجة في سننه بسندهما عن عدي ابن ثابت عن البراء إنه قال :

" أقبلنا مع رسول الله (ص) في حجة الوداع فنزل في بعض الطريق ، فأمر بالصلاة جامعة فأخذ بيد علي (ع) فقال :

" ألست أولى بالمؤمنين من انفسهم ؟ قالوا : بلى ، قال : ألست أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا : بلى ، فقال : هذا ولي من انا مولاه ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه " . [٦٩]

---

(٦٩) ذكره الإمام أحمد في المسند ج٤ ٢٨١ وابن ماجة في سننه ج١ص٤٥ .

وممن روى هذين المحتويين سعد بن أبي وقاص ، فقد روى عنه الحاكم في المستدرك إنه قال :

" .... لقد قال رسول الله (ص) لعلي (ع) يوم غدير خم بعد حمد الله والثناء عليه :

هل تعلمون إني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قلنا : بلى ، قال اللهم من كنت مولاه فعلي (ع) مولاه ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه ..".[٧٠]

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى إنه قال :

" شهدت علياً (ع) في الرحبة ينشد الناس ، فقال : انشد الله من سمع رسول الله (ص) يقول في يوم غدير خم : " من كنت مولاه فعلي (ع) مولاه " ، الا قام فشهد : قال عبد الرحمن : فقام إثنا عشر بدريا كأني انظر إلى أحدهم " ، فقالوا : نشهد إنا سمعنا رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم : ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وازواجي امهاتهم ؟ فقلنا : بلى ، قال (ص) : " من كنت مولاه فعلي (ع) مولاه ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه " . [٧١]

---

(٧٠) ج٣ ص١١٦ .
(٧١) ج١ ص١١٩ .

أما المحتوى الأخير ، وهو قول الرسول (ص) يوم غدير خم : " من كنت مولاه فعلي (ع) مولاه " فقد رواه عشرات من الأصحاب .[٧٢]

وقد روى الترمذي في صحيحه عن زيد بن أرقم ان النبي (ص) قال : " من كنت مولاه فعلي (ع) مولاه " .[٧٣]

وقد روى الحافظ محمد بن ماجه في السنن (صحيحه) عن سعد بن ابي وقاص إنه قال :

" قدم معاوية في بعض حجاته " ، فدخل عليه سعد فذكروا علياً (ع) فنال (معاوية) منه ، فغضب سعد وقال : أتقول هذا لرجل سمعت رسول الله (ص) يقول (فيه) : من كنت مولاه فعلي (ع) مولاه ؟...".[٧٤]

وبالطبع كل من روى المحتويات الثلاثة أو المحتويين الآخرين أو المحتوى الأول والأخير فهو من رواة المحتوى الأخير ، وليس هنالك أي تناقض في هذه الروايات ، فقد يختار الراوي في موقف ان يروي بعض ما سمع من الرسول (ص) أو أي شخص آخر ثم يختار في موقف آخر أن يروي معظم ما سمع ، ويختار في موقف ثالث ان يروي ما سمعه بتمامه ، وليس في أي من ذلك ما يناقض الآخر .

---

(٧٢) منهم أبو ليلى الأنصاري وحبشي بن جناده وابو أيوب خالد بن زيد الأنصاري وسهل بن سعد وطلحة بن عبيد الله وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود والخليفة الثالث عثمان بن عفان وعدي بن حاتم وعطبة بن بشر المازني وعقبة بن عمر الجهني وعمار بن ياسر وأبو الهيثم التيهان وحبيب بن بديل بن ورقاء الخزاعي وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وعبد الله بن بديل الخزاعي وقيس بن ثابت وقيس بن سعد بن عباده وهاشم المدقال الزهري وآخرون كثيرون .

(٧٣) ج٥ ص٢٩٧ (رقم الحديث ٣٧٩٧) .

(٧٤) ج١ ص٤٥ (رقم الحديث ١٢١) .

وهكذا نرى ان أبا الطفيل عامر بن واثله روى ان سبعة عشر صحابياً، استجابوا لمناشدة الإمام علي (ع) في الكوفة فشهدوا إنهم سمعوا من الرسول (ص) يوم غدير خم كلمات تضمنت كل المحتويات الثلاثة كما اسلفنا في صدر هذا البحث ، ونرى رواية أخرى في أحاديث المناشدة رواها الإمام أحمد في مسنده عن أبي الطفيل تضمن المحتويين الأخيرين ، فقد قال :

" جمع علي (ع) الناس في الرحبة ثم قال لهم : أنشد الله كل إمرئ مسلم سمع رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم ما سمع ، لما قام ، فقام ثلاثون من الناس وقال أبو نعيم : فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذ رسول الله (ص) بيد علي (ع) فقال للناس : اتعلمون إني أولى بالمؤمنين من انفسهم ؟ قالوا : نعم يا رسول الله (ص) ، قال : من كنت مولاه فهذا مولاه ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه ، قال (أبو الطفيل) : فخرجت وكأن في نفسي شيئاً فلقيت زيد بن ارقم فقلت له : اني سمعت علياً (ع) يقول كذا وكذا ، قال (زيد) : فما تنكر ؟ قد سمعت رسول الله (ص) يقول ذلك له ". [٧٥]

وقد تكلم الرسول (ص) عن ولاية علي (ع) في غير موقف غدير خم ، فقد روى الترمذي في صحيحه عن عمران بن حصين ان اربعة شكوا علياً (ع) لرسول الله (ص) ، فغضب وقال لمن شكوا علياً (ع) :

" ما تريدون من علي (ع) ؟ ما تريدون من علي (ع) ؟ ما تريدون من

---

(٧٥) ج٤ ص٣٧٠ .

علي (ع) ؟ ان علياً (ع) مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن من بعدي".[٧٦]

وروى الإمام أحمد في مسنده[٧٧] هذا الحديث بإختلاف يسير في اللفظ وقال فيه ان النبي (ص) قال : " دعوا علياً (ع) ، دعوا علياً (ع) ، دعوا علياً (ع) ، ان علياً (ع) مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن " ، وروى الإمام أحمد عن سعيد بن خيبر عن ابن عباس عن بريدة الأسلمي إنه قال :

" غزوت مع علي (ع) اليمن فرأيت منه جفوة فلما قدمت على رسول الله (ص) ذكرت علياً (ع) فتنقصته ، فرأيت وجه رسول الله (ص) يتغير ، فقال : يا بريدة ، ألست أنا أولى بالمؤمنين من انفسهم ؟ قلت : بلى يا رسول الله (ص) ، قال : من كنت مولاه فعلي (ع) مولاه " .[٧٨]

وروى الإمام أحمد أيضاً في مسنده [٧٩] " لا تقع في علي (ع) فإنه مني وأنا منه ، وهو وليكم من بعدي " .

وعلى هذا فإن حديث الغدير ثابت لاريب فيه فقد رواه ما يزيد على مائة صحابي وما يزيد على أربعة وعشرين من أئمة المؤرخين وسبعة وعشرين من أئمة الحديث وأحد عشر من مفسري القرآن ، ومثل هذا العدد من علماء الكلام وقد رواه العديد من المؤلفين في كل قرن .[٨٠]

---

(٧٦) ج٥ ص٢٩٦ (رقم الحديث ٣٧٩٦) .
(٧٧) ج٤ ص٤٣٧ .
(٧٨) ج٥ ص٣٤٧ وروى مثله الحاكم في المستدرك ج٣ ص١١٠ .
(٧٩) ج٥ ص٣٥٦ .
(٨٠) من شاء الإطلاع على تفاصيل الروايات وأسماء الرواة والمؤلفين فعليه بقراءة كتاب الغدير للأميني فهو كتاب فريد في الموضوع والأرقام المذكورة هنا مأخوذة من كتابه هذا ج١ ص٦ - ٨ .

❖ سادساً : حديث الغدير

وإذا علمنا صدور بلاغ الغدير عن الرسول (ص) فلنتكلم عما يدل عليه البلاغ ، ولنعرف أن :

١- هل هنالك فارق بين كلمة ولي ومولى ، ورد في بعض الأحاديث كلمة ولي وفي أكثرها كلمة مولى ؟

٢- وإذا كانت الكلمتان تدل على شيئ واحد فماذا تعني كلمة مولى ؟

٣- ماذا عنى الرسول (ص) بكلمة أولى في قوله : " ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ "

• ولي ومولى

ان كلمتي ولي ومولى تتساويان في معانيهما تقريباً سوى إن كلمة ولي يمكن ان تضاف إلى الأشياء والعقلاء فيقال ولي الوقف كما يقال الله ولي المؤمنين ، أما كلمة مولى فلا تضاف إلا إلى العقلاء فيقال مولى المؤمنين ولا يقال مولى الوقف .

أمَّا ما تعنيه كلمة مولى فقد ذكر أهل اللغة عديداً من المعاني :

١ . المحب
٢ . الجار
٣ . النزيل
٤ . الشريك
٥ . الإبن
٦ . ابن العم
٧ . ابن الأخت
٨ . الصهر
٩ . القريب
١٠ . العم

١١ . الصاحب

١٢ . المنعم

١٣ . المنعم عليه

١٤ . الفقيد

١٥ . المعتق

١٦ . الرب

١٧ . المالك

١٨ . السيد الغير المعتق أو المالك

١٩ . العبد

٢٠ . التابع

٢١ . الحليف

٢٢ . الناصر

٢٣ . الأولى بالشيئ

٢٤ . المتصرف بالأمر

٢٥ . المتولي الأمر

٢٦ . الولي

وبالرغم من ان كلمة مولى قد تستعمل في كل هذه المعاني فإن الخمسة عشر الأولى من المعاني بعيدة عما يتبادر إلى الذهن حين إطلاقها ، ولا يصار إليها إلا بقرينة واضحة ، ومعنى ذلك إنه لو استعملت كلمة مولى دون إي قرينة فإن السامع يتردد فهمه بين المعاني الأحد عشر الأخيرة فقط ، واظهر ما يكون للمعاني الأحد عشر معنيان : هما السيد والعبد .

وعلى كل حال فإن كلمة مولى في حديث الغدير لم يقصد منها أي المعاني الخمسة عشر الأولى ، فالجار والنزيل والشريك والابن وابن الأخت والعم والصهر والصاحب لم يُرَد أي منها ، فعلي (ع) لم يكن جاراً أو نزيلاً أو شريكاً أو ابناً أو ابن أخت أو صهر أو صاحبا لكل من كان رسول الله (ص) جاره أو نزيله أو شريكاً له أو ابنه أو ابن أخته أو صهره أو صاحبه ولم يكن النبي (ص) عمّاًلأحد لأنه لم يكن له أي أخ بالولادة .

وليقصد من كلمة مولى القريب لأن الاخبار بذلك تافه لا تليق بالرسول (ص) ان يجمع الناس من أجل أن يعلنه من حيث القرابة ، فكل مسلم يعرف إن علياً (ع) ابن عم الرسول (ص) .

ولم يقصد المحب لأنه لا يتناسب مع الموقف فليس أمراً ذا خطر ليجمع الألوف ليعلمهم ان علياً (ع) يحب كل من يحبه رسول الله (ص) ، فكل الصحابة الطيبون أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وأبي ذر وسلمان وعمار وسواهم كانوا يحبون من أحبه الرسول (ص) ، اضف إلى ذلك إن الرسول (ص) يريد أن يقول إنه مولى لجميع المسلمين ولم يقل محباً لهم جميعاً لأنه لا يحب العصاة منهم .

ولم يقصد المنعم عليه لأن الرسول (ص) لم يكن منعماً عليه من الناس ، ولم يقصد مادياً فالرسول (ص) لم يكن منعماً على كل المسلمين مادياً ، والرسول (ص) يريد أن يقول إن علياً (ع) مثله في إنه مولى لجميع المسلمين من كل الأجيال ، ولم يقصد المنعم روحياً ، بالرغم من ان الرسول (ص) منعم روحياً على جميع المسلمين بهدايته إياهم لدين الله وكذلك علي (ع) بجهاده في سبيل إعلاء كلمة الله ، إن الرسول (ص) لم يقصد ذلك لأنه لم يكن في ذلك الموقف مخبراً بأمر حدث في الماضي، بل كان يريد أن يمنح علياً (ع) رتبة ومنصباً ، وبالطبع لم يقصد الرسول (ص) معنى الفقيد ، لعدم صحة المعنى وتفاهته ولا المعتق لإنه لم يكن معتقاً لكل المسلمين لأن المسلمين لم يكونوا في أكثريتهم الساحقة عبيداً ، والمعاني الأحد عشر الأخيرة منها بالطبع لا يصح منها الرب لأنه كفر ولا العبد ولا التابع لأن الرسول (ص) لم يكن عبداً ولا تابعاً لأحد ولم يقصد المالك لأن الرسول (ص) لم يكن مالكاً للمسلمين ولم يقصد الحليف لأن الرسول (ص) لم يكن حليفاً لكل مسلم ، ولو قصد الحليف الروحي لما صح أيضاً لإنه ليس حليفاً للعصاة منهم وما أكثرهم .

ولا يصح ان يعني الناصر لأن الرسول (ص) كما ذكرنا يريد ان يقول إنه مولى لكل المسلمين من جميع الأجيال والرسول (ص) ليس نصيراً لجميع الأجيال ، ومن يتمكن ان يكون نصيراً لكل الأجيال هو الله وحده ، ومع ذلك فالرسول (ص) ليس نصيراً لكل مسلم بل للخُلَّص منهم ولا يتناول نصره العصاة من المسلمين .

وإذن فلم يبق إلا خمسة من المعاني الأحد عشر الأخيرة وهي السيد غير المعتق أو المالك والأولى بالشيئ والمتصرف بالإمر والتولي للأمر ، والولي .

والمعنى الأخير (الولي) لا يصح إلا إذا قصد منه أحد المعاني الأربعة الأخرى ، فهو ليس معنى مستقلاً ، أما (السيد) يصح إذا قصد منه القائد أو المتبوع لأن الرسول (ص) متبوع وقائد لجميع المؤمنين ، والمعاني الثلاثة الأخرى : الأولى بالشيئ والمتصرف بالأمر والمتولي للأمر متقاربة المفهوم وتتلاءم مع معنى المتبوع والقائد حيث يقصد بالمتبوع والقائد من كان كذلك بأمر من الله ، فإذا قصد من المولى الأولى بكل مؤمن وهو الأحق بأن يتصرف بإمور المؤمنين فهو ما يعنيه القائد أو المتبوع بأمر من الله وكذلك المتولي للأمر والمتصرف بالأمر .

- الأَولى

وماذا عنى الرسول (ص) بكلمة أولى في قوله : " ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ " ، لقد صرح أهل اللغة إن كلمة أولى تأتي لمعنين :

١- الأحق ، ٢- الأجدر (وهو الأليق أو الأنسب) ومن الواضح ان النبي (ص) قصد معنى أحق لا معنى أجدر لأن من المستهجن أن يقال ان النبي (ص) أليق أو أنسب بالمؤمنين من أنفسهم .

بل إن النبي (ص) أراد ان يذكر المسلمين بحق منحه الله إياه وأعلنه الوحي في القرآن الكريم :

﴿النَّبِي أَوْلَى بِالْمُؤمِنِينَ مِن أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ وَأُمَّهَاتُهُمْ ..... ﴾ [٨١]

إن الآية تنطق بأن للرسول الحق في إدارة شؤون المسلمين أكثر مما للمسلمين من الحق في إدارة شؤون أنفسهم ، حيث يجب عليهم طاعته والإنقياد لأمره ، وقد أكد القرآن هذا الحق في آيات عديدة منها :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً ﴾ .[٨٢]

وإذا فهمنا كل ذلك فقد سهل علينا فهم ما أراده الرسول (ص) من تصريحه يوم الغدير ، فلو أخذنا المحتوى الأخير وحده من تصريح وهو قول الرسول (ص) : " من كنت مولاه فعلي (ع) مولاه " ، ولما أمكن ان يراد إلاَّ معنى القائد أو المتبوع بأمر من الله أو من له حق منحه الله إياه بإدارة شؤون المسلمين ، والرسول (ص) يصرح بإن علياً (ع) مثله في ذلك .

وإذا أخذنا هذا المحتوى مع المحتوى الثاني وهو قوله : " ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ (وهو ما تضمنه عدد من الروايات) يصبح المقصود مكتمل الوضوح فالنبي (ص) أحق بكل مؤمن من نفسه بمقتضى نص القرآن وهذا ما أراد النبي (ص) ان يذكر المسلمين به ، ولذ أردف هذا السؤال بقوله :

" من كنت مولاه فهذا علي (ع) مولاه " ، فقد عنى ان علياً (ع) كالنبي (ص) له حق من الله بإدارة شؤون المسلمين .

---

(٨١) سورة الأحزاب : آية ٦ .
(٨٢) سورة الأحزاب : آية ٣٦ .

وإذا كان لأحد ان يتردد في هذا فإن المحتوى الأول للحديث " إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، لن تضلوا ان تمسكتم بهما فأنظروا كيف تخلفوني فيهما ، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض " ، يزيل كل تردد ويبرز الحقيقة ناصعة فالعترة (ورئيسها علي (ع)) يجب ان تتبع كما يتبع القرآن ، واتباعها كإتباع القرآن فرض على كل مسلم ، والأحاديث التي جاءت بهذا المحتوى كثيرة ومتعددة ، وصدورها عن الرسول (ص) متيقن ، ومعنى ذلك كله ان اتباع علي (ع) والإنقياد له كالإنقياد للرسول ، ومتابعته مفروضة على المسلمين بأمر الله .

ولهذا كان علي (ع) مولى لكل من كان رسول الله (ص) مولاه .

وإذا تذكرنا قول الرسول (ص) لبريده وسواه في أحاديث عديدة إن علياً (ع) مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن من بعدي أو وهو وليكم بعدي ، لم يعد أي مجال لجدل حول ما عناه الرسول (ص) من كلمتي مولى وولي .

وهذا هو ما تحدثت عنه تصريحات الرسول (ص) التي ذكرناها سابقاً وهي إن إطاعة علي (ع) إطاعة لله ورسوله وعصيان علي (ع) عصيان لله ورسوله ومفارقته مفارقة لله ولرسوله وسبه سب لله ورسوله .

❖ سابعاً : آية التبليغ

إذا أطلعنا على سبب وقفة الرسول (ص) في غدير خم وبلاغه للمسلمين في ولاية علي (ع) عليهم تأكد ان ما تحدث عنه الرسول (ص) ما كان إلاَّ اعلانا امر الله به رسوله وان الإعلان يتعلق بمستقبل الرسالة والأمة وتأمين قيادة صالحة .

إننا نقرأ في سورة المائدة قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ﴾.[٨٣]

هذه الآية بصرف النظر عن أي حديث ورد في تفسيرها تنبئ بعدة أمور :

١- ان رسالة سابقة لهذه الآية كانت قد نزلت على الرسول (ص) ليبلغها للناس .

٢- ان الرسول (ص) ارجأ تبليغ تلك الرسالة أو استعفى ربه من مهمة تبليغها خشية من الناس ويدل على ذلك قوله تعالى في الآية نفسها : **﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾** .

٣- ان محتوى الرسالة السابقة كانت مهمة جداً لأنه الآية نزلت عليه تأمره أمراً شديداً بإبلاغ تلك الرسالة وفي الوقت نفسه تنذره :

---

(٨٣) سورة المائدة : آية رقم ٦٧ .

وينبغي ان لا ننسى ان قول الرسول (ص) لبريده وآخرين في أحاديث عديدة : إن علياً (ع) مني وأنا منه ، وهو وليكم بعدي أو هو ولي كل مؤمن من بعدي صريح في إنه خليفته من بعده .

وكذلك قوله في أحاديث الثقلين : " إني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي ... " صريح في الإستخلاف من بعده .

" وإن لم تفعل فما بلغت رسالته " ، ومعنى ذلك انه ان لم يبلغ تلك الرسالة لم يقم بوظيفته كرسول لله ، وإن عدم إبلاغ تلك الرسالة يعدل عدم تبليغ الرسالة النبوية كلها .

وإليك مفهوم تلك الرسالة وما عليك عزيزي القارئ إلا أن تفكر جيداً في محتوى الرسالة .

❖ محتوى الرسالة

لو نزلت هذه الآية والرسول (ص) في مكة في السنين الأولى من بعثته لفهمنا منها بوضوح إن النبي (ص) كان يخشى ان يجابه مجتمعه الوثني بمبدأ الوحدانية والدعوة إلى نبذ عبادة الأصنام ، ولكن هذه الآية جزء من سورة المائدة ، وهي سورة مدنية مئة بالمئة .

ولو نزلت في أوائل مدة الهجرة لجاز لنا أن نفكر ان مفهوم الرسالة كان أمراً بصلاة أو زكاة أو صوم يخشى ان يثقل على الناس أو أمراً بجهاد الوثنيين الأشداء ممن كانوا يقفون في طريق الإسلام ، والجهاد يعني خسارة في الأرواح والأموال يخشى من المسلمين أن لا يتحملوها .

ولكن سورة المائدة نزلت في السنة العاشرة من الهجرة بعد ان أنزلت الفرائض كلها وبعد ان خاض المسلمون عشرات المعارك ضد الوثنيين وسواهم وإستعلى أمر الإسلام وإستقر في شبه الجزيرة العربية .

وقد روي عن عائشة وعبد الله بن عمر إن المائدة كانت آخر سورة نزلت .[٨٤]

ويؤيد ذلك إن السورة تحتوي آية إكمال الدين :

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ ، وقد نزلت هذه الآية في حجة الوداع والرسول (ص) في موقف عرفة كما يدل عليه رواية الشيخين عن عمر[٨٥] ، وقد روي أيضاً إنها

---

(٨٤) روى ذلك الحاكم في المستدرك ج٢ ص٣١١ .
(٨٥) روى ذلك البخاري في صحيحه ج٦ ص٦٣ في تفسير سورة المائدة (في كتاب التفسير) وروى مثله مسلم في صحيحه .

نزلت والرسول (ص) عائد من حجة الوداع التاريخية وهو في موقفه يوم غدير خم كما تدل عليه روايات عديدة يأتي ذكر بعضها .

ومن ذلك نعرف إن مفهوم الرسالة التي ارجأ الرسول (ص) ابلاغها إلى الناس لم يكن أمراً بإعلان مبدأ الوحدانية ولا فريضة من فرائض العبادة ولا أمراً بجهاد الوثنيين أو الكتابيين ، بل كان امراً يتعلق بالسياسة المستقبلية للدولة والحكم ، وإذا تذكرنا إن سورة المائدة قد نزلت في أيام حجة الوداع وما بعدها كما يدل عليه ما رواه الحاكم والبخاري ومسلم وتذكرنا ان النبي (ص) نادى بولاية علي (ع) بن أبي طالب في غدير خم وهو عائد من حجة الوداع ، سهل علينا ان نستنتج ان مفهوم الرسالة كان أمرا بإعلان ولاية علي (ع) .

ومعنى ذلك أن النبي (ص) حينما تلقى الأمر بإعلان علي (ع) قائداً للأمة خشي من إختلاف اتباعه وان يظنوا انه حابى علياً (ع) لقرابته وقربه منه ، فنزلت آية التبليغ تأمره بأن يبلغ ما انزل إليه من ربه وبنفس الوقت تنذره بأنه ان لم يفعل ذلك فإنه لا يكون قد قام بوظيفته كرسول ، وتعده بان الله سيعصمه ممن يخاف منهم من الناس ، وحينما تلقى الرسول (ص) هذا الأمر المشدد وقف في غدير خم ليعلن ما اعلن في امر علي (ع) ، وإذا كان هذا هو ما عنته الآية واضح ان ما عناه الرسول (ص) من بلاغ الغدير هو قيادة علي (ع) للمسلمين دينيا ودنيويا على غرار قيادة الرسول (ص) نفسه ، ولو كان ما أعلنه الرسول (ص) أقل من ذلك في أمر علي (ع) لما خشى خلاف الناس عليه ولما نزل أمر مشدد معه إنذار ، فمما كان يزعج طمع الطامعين بالرئاسة من

المكيين وســواهم ان يلي علي (ع) أي منصب إذا لم يكن ذلك المنصب لقيادة رئاسة عامة في الدين والدنيا ، ان الأمر الإلهي بالتبليغ دليل على ان الله أراد ان يُؤمِّن لعبادة المسلمين قيادة لا يضلون ان مشوا تحت لوائها : وهي قيادة علي (ع) رئيس العترة الطاهرة التي لا تفارق القرآن وتضمن للأمة وحدتها وتقدمها ، وامتثالا لهذا الأمر الإلهي وقف الرسول (ص) أمام الألوف معلنا ما أعلن .

❖ الرسالة ليس لها علاقة بأهل الكتاب

وقد توهم من قال ان الرسالة التي ارجأ الرسول (ص) ابلاغها خشية الناس كانت تتعلق بأهل الكتاب ، ولم ينتبه إلى الآيات العديدة التي تتحدث عنهم ، ومنها قوله تعالى : ﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدنَّ كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين** ﴾ ، وبعد الآية نجد عديداً من الآيات في أهل الكتاب منها :

﴿ **قل يا أهل الكتاب لستم على شيئ حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدنَّ كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين** ﴾ .

ولكن هذا الوهم يتبدد حينما نتذكر إن ترتيب الآيات في القرآن لم يكن طبقاً لتتابعها في النزول ، فيمكن أن لا يكون مكان آية التبليغ في حال نزولها هو نفس مكانها فيما نقرأه من السورة .

ولو إعتبرنا إن مكانها في النزول هو مكانها في التدوين فليس في الآية إشارة إلى إرتباط معناها بمعنى ما قبلها أو بعدها .

وإن تأملنا في معناها نجزم بإستقلالها عما سبقها أو تلاها ، لإن مضمونها يدل على عدم إرتباطها بما تقدمها وما تأخر عنها من الآيات ، إن الآية تدل على ان الرسول (ص) كان يخشى من إذاعة مفهوم

الرسـالة التي أشـارت إليـهـا الآية ولم يـكن الرسـول (ص) وقت نـزول آية التبليغ يخشى ان يذيع أي شيئ يختص بعلاقة المسلمين بأهل الكتاب ، فقد وقعت معارك عديدة بين المسلمين واليهود كان منها معركة بني قينقاع ومعركة بني النظير في أوائل سني الهجرة ، ومعركة بني قريضة التي وقعت تلو معركة الأحزاب في السنة الخامسة ، وكانت خاتمة المعارك بين النبي (ص) واليهود معركة خيبر التي وقعت في السنة السادسة ، وبذلك إنتهى كل خطر يهودي على المسلمين ، فما كان الرسول (ص) يخشى من اليهود أي خطر ان هو أذاع أي رسالة في السنة العاشرة ضدهم ، وقد كان المسلمون في حالة حرب مع المسيحيين بدأت بمعركة مؤتة في السنة الثامنة وتبعها معركة تبوك في السنة التاسعة ، ومن لا يخشى ان يحارب المسيحيين لا يخشى ان يذيع رسالة ضدهم .

أضف إلى ذلك ان مضامين الآيات بآية التبليغ قد نزل مثلها في سُوَرٍ سبقت سورة المائدة زمانا ، فما تقدمها يأمر المؤمنين بأن لا يتخذوا أهل الكتاب الذين يهزأون بدين الإسلام أولياء ويذكر ان منهم من لعنه الله وجعل منهم القردة والخنازير وإنهم إذا جاؤا إلى المسلمين قالوا نفاقا إنهم قد آمنوا وإنهم يسارعون إلى الإثم ويأكلون السحت وإن اليهود كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ، وإن أهل الكتاب لو إتقوا أو أقاموا التوراة والإنجيل لدخلوا الجنة ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، وما تأخرعن الآية ينطق بأن أهل الكتاب ليسوا على شيئ حتى يقيموا التوراة والإنجيل وإنهم إذا آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا

صالحاً فلا خوف عليهم ، وإن بني إسرائيل كذبوا رسلاً وقتلوا آخرين بعد ان أخذ الميثاق عليهم ، وان الذين قالوا ان المسيح هو الله قد كفروا...

هذه المضامين أو أمثالها كانت قد أذيعت في سور شتى سبق نزولها زمان المائدة ففي سورة البقرة ﴿ **أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ** (يعني اليهود) **رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ آية ٨٧ - ٨٨ ، وفي سورة مريم (١٩ وهي مكية) نقرأ : ﴿ **وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدّاً أَن دَعَواْ لِلرَّحْمَنِ وَلَداً وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً** ﴾ آية ٨٨ - ٩٢ ، وفي سورة التوبة (٩ نزلت في السنة التاسعة بعد الهجرة) نقرأ : ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُم اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ الآية ٢٩ - ٣١ .

إن كل هذا يدل على ان الرسول (ص) ما كان يخشى وهو في السنة العاشرة من الهجرة أن يواجه أهل الكتاب بمعركة أو رسالة ، وآية التبليغ تدل على إنه يخشى أن يذيع رسالة كانت انزلت إليه ، فأمره الله

بإذاعتها ووعده بأن يعصمه من الناس ، وذلك فإن منطوق الآية يشهد بإنها غير مرتبطة المعنى بما قبلها وما بعدها ، بل هي مستقلة عنهما إستقلالاً تاماً ، وهذا ما يحملنا على الجزم بأن الرسالة التي يخشي الرسول (ص) الناس في تبليغها لم تكن تتعلق بسياسة خارجية تجاه أهل الكتاب أو المشركين ، بل كانت تتعلق بسياسة داخلية إسلامية ، وإذ لم تكن تتعلق بفريضة من الفرائض الإسلامية لأنها جميعاً كانت قد أعلنت قبل نزول آية التبليغ بسنين ، فلنا أن نجزم بأن الرسالة كانت تتعلق بالحكم ورئاسة الدولة .

وإذا كانت سورة المائدة قد نزلت في حجة الوداع والأيام التي بعدها كما تدل عليه الأحاديث السابقة ولذا وقف الرسول (ص) بشكل مستعجل ومفاجئ على غدير خم وأوقف الحجاج ليعلن لهم ولاية علي (ع) .

وعلى هذا جاز لنا أن نجزم بأن مفهوم الرسالة كان إعلان لتلك الولاية ، أجل نتمكن أن نجزم بذلك دون الرجوع إلى أحاديث خاصة تعرفنا عن أسباب نزول آية التبليغ .

ونزداد جزماً بذلك حينما نعرف إن أحاديث متعددة تدل على إن الأمر كان يتعلق بولاية علي (ع) ، فقد نقل الإمام السيوطي أن الحافظ ابن ابي حاتم أخرج بإسناد عن أبي سعيد الخدري إن الآية نزلت على رسول الله (ص) يوم غدير خم في علي بن أبي طالب (ع) . (٨٦)

---

(٨٦) لقد إعتمدنا في مصادر الأحاديث ١٩ إلى ٢٥ على كتاب الغدير ج١ ص٢١٤ – ٢٢٢ للثقة الأميني.

وذكر في كنز العمال[87] ان المحاملي أخرج في أماليه بإسناده عن ابن عباس ما يلي : " لما أمر النبي (ص) أن يقوم بعلي بن أبي طالب (ع) المقام الذي قام به فإنطلق النبي (ص) إلى مكة ، فقال : رأت الناس حديثي عهد بكفر وجاهلية ، ومتى أفعل هذا يقولوا صنع هذا بابن عمه ، ثم مضى حتى قضى حجة الوداع ، ثم رجع حتى إذا كان بغدير خم انزل الله عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَسُول (ص) بلغ ما أنزل إليك من ربك** ﴾ الآية ، فقام منادي فنادى : الصلاة جامعة ، ثم قام وأخذ بيد علي (ع) فقال :

" من كنت مولاه فعلي (ع) مولاه ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه " .

وروى ابن مردوية مايقرب من هذه الألفاظ عن ابن عباس ونقل ابن بطريق في العمده[88] ان ابا اسحاق الثعلبي روى في تفسيره (الكشف والبيان) عن الإمام الباقر وعن ابن عباس إنها نزلت في علي (ع) ، فأخذ الرسول (ص) بيد علي (ع) وقال : من كنت مولاه فعلي (ع) مولاه .

وأخرج شيخ الإسلام أبو إسحاق الحمويني في كتابه أسباب النزول[89] عن أبي سعيد الخدري إنه قال : نزلت هذه الآية يوم غدير خم في علي بن أبي طالب (ع) .

---

(٨٧) ج٦ ص١٤٣ (الطبعة الأولى) .
(٨٨) ص٤٩ .
(٨٩) ص١٥٠ .

وذكرالإمـام فخـر الديـن الرازي في تفسـيـر الكبـيـر [٩٠] ان البـراء بن عـازب وابن عبـاس ومـحـمد بن علـي (ع) رووا ان الآية نـزلت في علي (ع) يوم غدير خم .

وذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري بإسناده (في كتاب الولاية) في طريق حـديث الغدير ، عن زيد بن الأرقم إن الآية نزلت فـي علي بن ابي طالب (ع) .

وإذا عـرفنا إن وقـفـة الرسـول (ص) التـاريخـيـة يوم غـدير خم كـانت نتيجة وحي إلهي نزل في آية قرآنية جاء بها جبرائيل إلى الرسول (ص) يوم الغـدير يأمـر بإبـلاغ المسلمين ولاية علي (ع) وينذره ان لـم يبلغ ويعده أن يعـصـمـه الله ممن يخـشـاه من الناس إن هو بلغ فـقـد إتضح إن بلاغ الغـدير بلاغ خطيـر يعلن للمـسلمين إن ولاية علي (ع) المعلنة هي إمـامـة عـامة في الدين والدنيـا وإنهـا قيـادتة كقيـادة الرسـول (ص) نفسـه ، ولو كانت أي شيئ آخـر لما نزل الآمـر المنذر ، وما نقل من حديث الغدير هو بعض مما قاله الرسول (ص) في تلك الوقفة التاريخية .

---

(٩٠) ج٣ ص٦٣٦ .

❖ لماذا لم يقل الرسول (ص) علي (ع) أميركم أو خليفتي أو إمامكم ؟

ومن هذا المنطلق تعرف عدم صواب ما يقوله البعض من ان حديث الغدير بالرغم من صحته لا يدل على خلافة علي (ع) وإنه لو كان الرسول (ص) يقصد استخلاف علي (ع) على المسلمين لما استعمل كلمة مولى أو ولي بل كان من اللازم ان يقول علي (ع) أميركم بعدي أو خليفتي عليكم أو إمامكم.

إن مجرد نزول آية التبليغ التي تحمل الأمر المؤكد بإبلاغ المسلمين الرسالة التي فاه بها النبي (ص) يوم غدير خم يدل أجلى الدلالة على ان الرسالة كانت بمنتهى الخطورة وإنها تتعلق بمصير الإسلام والمسلمين وإنه أعلن (ص) للمسلمين إن علياً (ع) كالنبي (ص) مولى لجميع المسلمين لكان يعلن إن الله قد أعطى علياً (ع) منصباً عظيماً هو الإمامة العامة والقيادة التي تحل محل قيادة النبي (ص) نفسه .

لو صرفنا النظر عن آية التبليغ وعن كل ما جاء في تفسيرها من الروايات عن طريق الجمهور ، فإن ما نقله الجمهور من بلاغ الغدير كان كافياً كل الكفاية في الدلالة على إمامة علي (ع) ، لقد صرح الرسول (ص) ان اتباع القرآن واتباع عترة الرسول (ص) أمان للمسلمين من الضلال وإن القرآن والعترة لن يفترقا حتى يردا على الحوض وإن علياً (ع) كالنبي (ص) ، أولى بالمؤمنين من أنفسهم وإنه كالنبي (ص) مولى لجميع المؤمنين (من جميع الأجيال والأجناس) ، هذه الكلمات بنفسها ، دون حاجة إلى أي إضافة تدل بوضوح تام على ان الرسول

(ص) كان في ذلك الموقف مبلغاً عن الله ان علياً (ع) خيرة الله وخيرة رسوله لقيادة الأمة ، وإنه نائب الرسول (ص) في الرئاسة دينياً ودنيوياً .

لم يقل الرسول (ص) : علي (ع) أميركم بعدي لأن الرسول (ص) قلما إستعمل كلمة أمير في غير الشؤون العسكرية أو إمارة الحج ، وفي إدارة شؤون المسلمين عامة أو بعض الأقطار الإسلامية كان يستعمل كلمة ولاية، فقد كان يرسل ولاة على المناطق ويعبر عن نفسه بإنه ولي المسلمين والقرآن يعلن :

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ .... ﴾.[91]

ويقول : **﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾** .[92]

ويقول أيضاً: **﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ، هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً ﴾**.[93]

وينطق القرآن أيضاً : **﴿ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾**[94] ولم يرَ في القرآن إن الله دعا رسوله أميراً ، ولم يوجد في حديث نبوي إن النبي (ص) دعا نفسه أميراً أو حاكماً ، والسبب في ذلك إن العلاقة الطبيعية بين ولي أمور المسلمين وبينهم ليست علاقة

---

(٩١) سورة الأحزاب : أية ٦ .
(٩٢) سورة المائدة : آية ٥٥ .
(٩٣) سورة الكهف : آية ٤٤ .
(٩٤) سورة الأنفال : آية ٤٠ .

أمير ومأمور أو حاكماً أو محكوم ، بل علاقة أب بأولاده ، فهو يدير شؤونهم ويحافظ على مصالحهم محافظة الأب على مصالح ولده .

وليس ولاة أمور المسلمين طبقة علياً (ع) والشعب طبقة أدنى .

أما السؤال عن سبب كلمة مولى المؤمنين وأولى بهم من أنفسهم دون كلمة خليفة ، فجوابه ان الخليفة لا تجب طاعته إلا بعد موت المستخلف ، وإن النبي (ص) يريد أن يقول للمسلمين إن علياً (ع) تجب طاعته في حياة الرسول (ص) وبعد وفاته ، فهو نائبه في حياته وبعد وفاته ، وقد مر ان أبا ذر روى ان الرسول (ص) قال : " يا علي (ع) من أطاعني فقد أطاع الله ومن أطاعك فقد أطاعني ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصاك فقد عصاني " ، وهكذا فإن علياً (ع) لم يكن خليفة للرسول فحسب بل نائباً له في أيام حياته وكان (بمقتضى بلاغ الغدير) مثل النبي (ص) في إنه مولى المؤمنين وأولى بهم من أنفسهم ، لقد كان النبي (ص) رئيس الأمة ومن تجب عليها طاعته وكان علي (ع) نائباً له على الأمة ، وقد مر سابقاً ان هذا هو مفاد قول الرسول (ص) : " يا علي (ع) أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا إنه لا نبي بعدي ؟ " .

فقد كان هارون نائباً لموسى في حياته وقائدا للإسرائيلين كموسى أخيه وهذا هو مفاد كل ما قدمناه من الأحاديث في هذا الفصل .

وبعد فرض العرض لأحداث التاريخ الإسلامي الذي وقعه في العهد النبوي والخلافة الراشدة في فترة قصرها يثير الدهشة إذ لم تعمر الخلافة نصف ما يعمره الإنسان الواحد على هذا .

إن الأنظمة الحزبية والديمقراطية في العصور الحديثة قد عاش بعضها مئات السنين وقد مضى على ولادة أحداثها ما يزيد على نصف قرن ، ونرى إن أيا منها لم ينقلب إلى دكتاتورية عسكرية ظالمة ونرى الدلائل تشير بإن كل واحد من هذه الأنظمة سوف يعيش طويلاً دون أن ينقلب على نفسه .

ولكن الحكم الإسلامي العادل الذي يسمو روحاً ومادة على كل ما وجد في العصور الحديثة من أنظمة ديمقراطية أو شيوعية لم يعمر إلا قليلاً ، وقد انتهى في مدة أكثر من ثلاثين سنة ، وكان من الطبيعي ان يحملنا موت الخلافة الراشدة بهذه السرعة المفاجئة على ان نسأل :

هل كان هذا الموت السريع نتيجة طبيعية لسير المسلمين على منهاج وضعه الرسول (ص) إذ إمتنع (كما يعتقد جمهور المسلمين) عن إختيار خلف له ليقود الأمة من بعده وأوكل الأمر إلى الأمة لتختار لنفسها من يقودها ؟ ام ان موت الخلافة الراشدة كان نتيجة طبيعية لإهمال المسلمين مخططاً وضعه الرسول (ص) ورغب إلى أمته أن تسير عليه إذ إختار لها قائداً فلم ترض بقيادته ؟

ومن أجل تحري الواقع في هذه النقطة المهمة من التاريخ الإسلامي لا بد من الإجابة على سؤالين :

١- هل كان ينبغي ان تكون الخلافة بالوراثة أو بإنتخاب شعبي أو طبقي ؟ أم كان ينبغي أن تكون بتعيين نبوي ؟

٢- إذا كان ينبغي أن تكون بتعيين نبوي فهل كان ما ينبغي ان يكون ؟ وهل إختار الرسول (ص) لأمته قائداً من بعده ؟

❖ والجواب على ما يأتي

بما أن البحث قد أدى إلى استنتاج إن الخلافة ينبغي أن تكون بتعيين نبوي وإن النبي (ص) قد إختار للأمة قائداً من بعده هو علي بن أبي طالب (ع) ، وكما هو المستنتج ان انفصام الأمة وما مرت به من فتن يعود إلى عدم أخذ المسلمين بالمنهاج الذي وضعه الرسول (ص) في أمر الخلافة .

فلو تسلم الحكم علي بن أبي طالب (ع) بعد وفاة الرسول (ص) لما وقعت حرب البصرة ولا حرب صفين ولا حرب النهروان ، فحرب النهروان كانت نتيجة لحرب صفين وحربا صفين والبصرة كانتا نتيجة لمقتل عثمان ، ولو كان علي (ع) الخليفة الأول لما إستخلف عثمان ولما قتل ، ولو لم تكن الحروب الثلاثة لما انتهت الخلافة الراشدة حيث انتهت ، ولما كان بإمكان الأمويين أن يصلوا إلى قوة تمكنهم من انهاء الخلافة واستبدالها بملك عضوض يتداولونه فيما بينهم تسعين سنة ، ولا كان بإمكان الأمويين أن يبيدوا آل رسول الله (ص) في مذبحة كربلاء ، بلى كان بإمكان الخلافة أن تستمر أمداً طويلاً تتأصل خلاله المبادئ الإسلامية في نفوس المسلمين .

ولو ولي علي (ع) الخلافة لما انقسم المسلمون إلى سنة وشيعة ، فالتسنن والتشيع هما نتيجة الخلاف في إنه هل إختار الرسول (ص) علياً (ع) للخلافة ؟ أم ترك الأمر للمسلمين ليختاروا لأنفسهم ؟ فلو تسلم علي (ع) الخلافة بعد وفاة الرسول (ص) لما انقسم المسلمون من

أجلها لأنه ليس بين المسلمين من يدعي ان الرسول (ص) إختار للخلافة أبا بكر أو سواه من الأصحاب .

على ان الإستنتاجات هذه لا تعني هذا الدفاع عن الخلفاء وتبرير لهم ، يكون عذراً لكل منكر لعيب علي (ع) - للخلافة - ويبطل كل الأدلة التي قدمتها في أول بحث ، إنا نذهب إلى إن الخلفاء الثلاثة وبقية الأصحاب قد تعمدوا الخلاف على رسول الله (ص) بعد أن أعلمهم بأن علياً (ع) خيرته لقيادة الأمة ، كلا ، فإنا نجل هؤلاء عن ان يتعمدوا مخالفة لله ولرسوله في أمور دينهم ، بلى إن هؤلاء حسبوا إن قيادة الأمة أمر من أمور دينهم . ورأوا إن لهم أن يختاروا لأنفسهم في تدبير مصالح دنياهم غير ما إختاره الرسول (ص) ، وقد كان الرسول (ص) يستشير أصحابه في أمور لم يتنزل فيها إليه وحي من الله ، ويظهر إنهم فكروا إن الخلافة ليست أمراً من أمور الوحي ، وقد كان لهؤلاء الأصحاب إن يجتهدوا وللمجتهد أجره عند الله أصاب أو أخطأ .

والأصحاب كانوا بشراً لا يعلمون الغيب ولا يعرفون ماذا سيكون من نتائج إختيارهم فإذا لم نحملهم المسؤلية وأعفيتهم من كل ما جرى ، ينبغي أنت الذي تحاسب يوم القيامة ، فهم غير مسؤولين عن الفتن التي إمتحنت بها الأمة والأضرار الفادحة التي أصيبت بها نتيجة تلك الفتن ولا عن زوال الخلافة الراشدة ، التي فكر هؤلاء الأصحاب إن الأفضل لقريش ولهم إن يختاروا غير ما إختاره الرسول (ص) ، وما تمكنوا ان يعرفوا ما سوف يقود إليه إختيارهم من النتائج .

لقد أخطأ الأصحاب في إجتهادهم وتقديرهم ولم يعرفوا أبعاد ما قصد إليه الرسول (ص) ، وبالرغم من ذلك فإن من واجبنا ان نحسن الظن بهم وان نحمل أعمالهم على أفضل وجوهها ، وقد أمرنا أن نستغفر لجميع إخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، فضلاً عن الأصحاب الذين كانوا الرعيل الإسلامي الأول .

❖ وعلى هذا فما بقي للمسلمين إلا أن يتفقوا على ان ليس لهم الحق في ان يختلفوا

وإن الخلافة ينبغي أن تكون بإنتقاء نبوي وإن الرسول (ص) إختار علياً (ع) لقيادة الأمة فإنا لا نتوقع ولا نرى من الضروري ان يتفق المسلمون إلا على هذا الرأي ، ما من شك بإنه سيبقى لفكرتي الإنتخاب والتعيين انصارهما ما بقي العالم الإسلامي .

ونعتقد أن هذا لا يحتم على المسلمين أن يتبادلوا العداء والريبة إذا هم اتفقوا على إن لهم الحق في أن يختلفوا وأن يكون لهم أكثر من رأي واحد في أمر الخلافة ، إن منشأ الريبة المتبادلة بين أصحاب الفكرتين لم يكن الإختلاف في الرأي وإنما هو إعتقاد كل فريق بأنه لا يحق للفريق الآخر أن يخالفه في الرأي وإيمانه بإن رأيه هو الإسلام وإن رأي غيره زيغ وباطل ومخالفة لله ولرسوله وهدم للإسلام .

ولو رجع الفريقان إلى ما يفرضه المنطق لوجدا إن الله أكمل دينه قبل أن يستخلف أبو بكر وإن خلافة أبي بكر لم تأت في القرآن ولا في السنة ، وإنها ليست من واضحات التعاليم الإسلامية ، بلى إنها من الأحداث التاريخية التي يحق لكل مسلم أن يكون فيها رأيه إيجاباً أو سلباً وإن لسلبية رأيه أو إيجابيته لا تضعه في صفوف الأعداء لله ولرسوله ولا في صفوف العصاة لأوامرهما .

وإنتقاء الرسول (ص) لعلي (ع) وإختياره إياه لقيادة الأمة ، مع كل ما يدل عليه من تصريحات بلغ عدد بعض منها حد التواتر ، لم يبلغ في

بعض الأذهان من الوضوح ما يجعله من بديهيات التعاليم النبوية التي لا يحق لمسلم أن يجادل فيها .

إن ذهاب السنة إلى القول بأن الرسول (ص) لم يستخلف وإن خلافة الخلفاء الثلاثة شرعية وصحيحة وذهاب الشيعة إلى أن الرسول (ص) إستخلف علياً (ع) وإن خلافة الخلفاء الثلاثة لم تكن طبق رغبة الرسول (ص) لن يعدو أن يكون خلافا في فهم التاريخ الإسلامي أو خلافاً في قانون من القوانين الإسلامية أو حكم من الأحكام الشرعية .

وإذا كان المسلمون يجيزون لأنفسهم أن يختلفوا في الفتاوى الشرعية التي تتعلق بأحكام لم تبلغ في وضوحها درجة الضرورة والبداهة في الدين الإسلامي فمن الحق أن يجيزوا لأنفسهم أن يختلفوا في أمر الخلافة دون أن يتبادلوا العداء ويتهم بعضهم بعضاً في دينهم وإيمانهم من أجل آرائهم في الخلافة .

لقد إختلفت أئمة المذاهب الأربعة في مئات من الأحكام الشرعية وتباينت فتاواهم فيها ، وما كان تعدد المذاهب عند جمهور المسلمين إلا نتيجة هذا الإختلاف والتعدد وإنما قامت بينهم الفتن وسالت الدماء ولا يتهم بعضهم بعضاً في دينهم بل يؤمنون جميعاً بصحة إسلامهم وعقيدتهم جميعا ، وهذا ما يمليه المنطق وتعاليم القرآن والسنن النبوية، فما دام الخلاف حول مسائل لم يتضح جوابها في القرآن والسنة وضوحاً قاطعاً مانعاً للشك يكون لكل مجتهد الحق في أن يكون رأيا في تلك المسائل حسبما يؤدي إليه إجتهاده بعد إستفراغ وسعة في البحث

ولكن هذا الموقف المنطقي السمح الذي يتفق مع تعاليم القرآن والسنن النبوية لا نجد مثله فيما يتعلق بالخلافة ، فبالرغم من إن علماء الجمهور يرون إن الخلافة ليست أصلاً من أصول الدين بالرغم من إن المسلمين جميعاً يتفقون على إن الرسول (ص) لم يستخلف أبا بكر ولا الخليفتين من بعده نجدهم لا يسمحون لأي مسلم بالمناقشة في صحة خلافتهم ويرون إن القول بأن علياً (ع) هو الخليفة الشرعي الأول زيغ وإنحراف عن الدين وكبيرة من الكبائر لا تغتفر ، فكأنه إنكار لنبوة محمد أو شرك بالله .

ولماذا كل هذا ؟ السبب واضح ، إن موقف المسلمين من الخلافة والخلفاء موقف عاطفي ، وإذا تحكمت في المرء عاطفته إنقلبت عنده المقاييس وعظم في عينه الصغير وصغر الكبير .

❖ وعلى هذا لا بد لنا من رجعة في أمر هذا الخلاف إلى كتاب الله وسنة نبيه

ولكي نرى ما في هذا الرأي من صواب أو خطأ فإن من المنطق أن نعرضه على كتاب الله وسنة نبيه ، ومن اليسير أن نجد في الكتاب والسنة تحديداً واضحاً لمعنى الإسلام الصحيح والإيمان الصحيح وشروطهما اللازمة التي إذا توفرت في المسلم كان اسلامه صحيحاً وكان من المؤمنين المتقين ، وهذا كتاب الله ينطق بما يلي :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَاطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾. (٩٥)

ونجد كتاب الله ناطقاً أيضاً بما يلي :

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٩٦)

ونرى الآية الأولى تخبرنا بأن المؤمنين هم الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وان الآية الثانية تعلن ان الصادقين والمتقين هم الذين آمنوا بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتوا المال على حب

---

(٩٥) سورة البقرة : آية ٢٨٥ .
(٩٦) سورة البقرة : آية ١٧٧ .

الله من يستحقه وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ووفوا بعهودهم وصبروا في البأس ، ونرى بوضوح آيتين لم تشترطا في الإيمان والصدق والتقوى رأياً خاصاً في الخلافة سلبياً أو إيجابياً .

وسنن الرسول (ص) تنطق بما نطق به القرآن ، وإليك الأحاديث السبعة التالية :

١- روى البخاري[٩٧] ومسلم [٩٨] عن طلحة بن عبيد الله " ان إعرابياً سأل الرسول (ص) عن الإسلام ، فقال (ص) : خمس صلوات في اليوم والليلة ، فقال : هل علي (ع) غيرهن ؟ فقال : لا ، إلاَّ ان تطوع ، وصيام شهر رمضان ، فقال : هل علي (ع) غيره ؟ فقال: لا ، إلا ان تطوع ، وذكر له (ص) الزكاة ؛ فقال : هل علي (ع) غيرها ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع ، قال : فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه ، فقال رسول الله (ص) : أفلح أن صدق " .

٢- روى مسلم عن أبي هريرة إن إعرابياً جاء إلى الرسول (ص) فقال له : دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة ، فقال : تعبد الله ، لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان ، قال الإعرابي : والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه ، فلما ولى قال النبي (ص) : " من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا " [٩٩] .

---

(٩٧) في الصفحة ١٩ من الجزء الأول من صحيحه (كتاب الإيمان) .
(٩٨) في الصفحة ١٦٦ من الجزء الأول من صحيحه (كتاب الإيمان) .
(٩٩) صحيح مسلم ج١ ص١٧٤ .

٣- وروى عن عبادة بن الصامت إنه قال وهو في مرضه : ما من حديث سمعته من رسول الله (ص) لكم فيه خير الا حدثتكموه إلاَّ حديثاً واحداً ، وسوف احدثكموه اليوم وقد احيط بنفسي ، سمعت رسول الله (ص) يقول : " من شهد إن لا إله إلا الله وإن محمداً رسول الله (ص) حرم الله عليه النار " [١٠٠] .

٤- وروى عن عبادة بن الصامت أيضاً إن الرسول (ص) قال : " من قال: أشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإن محمداً عبده ورسوله وإن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وإن الجنة حق وإن النار حق أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء " [١٠١] .

٥- وروى عن معاذ بن جبل إن الرسول (ص) قال : إن حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله عز وجل ان لا يعذب من لا يشرك به شيئاً ، قال قلت : يا رسول الله (ص) أفلا أبشر الناس ؟ قال : لا تبشرهم فيتكلوا [١٠٢] .

٦- وروى البخاري[١٠٣] وروى مسلم[١٠٤] عن أبي هريرة إن الرسول (ص) قال لسائل : " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث ، وإنه قال : الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به

---

(١٠٠) صحيح مسلم ج١ ص٢٢٩ .
(١٠١) صحيح مسلم ج١ ص٢٢٦ - ٢٢٧ .
(١٠٢) صحيح مسلم ج١ ص٢٣٢ .
(١٠٣) في صحيحه ج١ ص٢٠ (كتاب الإيمان) .
(١٠٤) في كتاب الإيمان من صحيحه ج١ ص١٦٢ - ١٦٧ .

شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان .... "

٧- وروى مسلم في صحيحه بسنده عن عمر بن الخطاب إن الرسول (ص) قال لسائل سأله : " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (ص) وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن إستطعت إليه سبيلا " . وإن ذلك السائل إستعلم النبي (ص) عن الإيمان فقال له النبي (ص) : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره" [١٠٥] .

هذه الصحاح وصحاح أخرى كثيرة تتطابق مع القرآن وتدل بمجموعها على أن من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه والبعث وعبد الله وحده فأقام الصلوات المكتوبة وصام رمضان وآتى الزكاة وحج البيت إذا إستطاع إليه سبيلا فهو مسلم صحيح الإسلام ومؤمن صحيح الإيمان وإنه يكون من المفلحين ويحرم الله عليه النار ويدخله الجنة من أي أبوابها الثمانية شاء سواء في ذلك من آمن بأن الخليفة الشرعي بعد وفاة الرسول (ص) هو أبو بكر أو علي بن أبي طالب (ع) ، ذلك أن الإيمان بشرعية خلافة الخلفاء لم يذكر شرطاً في الإسلام أو الإيمان أو الفلاح أو البعد عن النار أو الدخول إلى الجنة .

وهذا هو ما يقتضيه المنطق السليم ، فإن كان الرسول (ص) لم ينص

(١٠٥) في كتاب الإيمان من صحيحه ج١ ص١٥٧ .

على خلافة الخلفاء الثلاثة ولا عهد إلى أبا بكر فلماذا يكون الإيمان بخلافة الخلفاء الثلاثة جزء من الدين الإسلامي ويكون عدم القول بذلك مضراً في الإيمان ؟ هذا والدين الإسلامي قد تم وأكمل في زمن النبي (ص) وقبل زمن الخلافة ، ولم تذكر خلافة هؤلاء في كتاب الله (وسنة نبيه) .

وإذا كان الرسول (ص) قد إستخلف علياً (ع) وعهد إليه كان العهد إليه من سنن الرسول (ص) ، ولكن هذا العهد لم يصل إلى درجة من الوضوح تمنع الجدل أو الشك في صدوره أو دلالة ما روي فيه من أحاديث ، وإذا استقصى مسلم أدلة صدور ذلك العهد وكان مخلصاً في إستقصائه ولم تقنعه تلك الأدلة ، ويكون معذوراً ولا يكون مخالفاً لكتاب الله ولا لسنة النبي (ص) .

وإذا كان كتاب الله ينطق بأن من آمن بالله ورسله وملائكته واليوم الآخر وأدى الفرائض هو مسلم صحيح الإيمان وكذلك تنطق سنن الرسول (ص) الأعظم ، فلن يكون من المنطق ولا من الإسلام أن يقول إتباع القرآن والرسول (ص) بأنه لن يكون مؤمناً ولا مفلحاً ولا بعيداً عن النار ولا مستحقاً لدخول الجنة إلا من آمن بأن الخليفة الشرعي الأول أبو بكر أو إلا من آمن بأن الخليفة الشرعي الأول هو الإمام علي (ع) ، وليس من الإسلام أن يقول المسلمون بأن من لم يأمن برأي الجمهور فليس من المؤمنين ولا من أهل الجنة بل هو من أهل النار وإن شهد أن لا إله إلا الله وإن محمداً رسوله وعبد الله وحده وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج إلى بيت الله الحرام وآمن بالله وملائكته

ورسله وكتبه ولقائه والبعث ، إن الله أعظم من أن يخلف وعده وأعظم من أن يستجيب إلى رغبات المتعصبين ، وهو جل شأنه أعدل من أن يعذب عباده ويحرمهم ثوابه من أجل عدم الإيمان برأي لم يذكره لهم في كتابه ولا ذكره لهم رسوله أو من أجل تكوين رأي في التاريخ الإسلامي وصل إليه صاحبه بعد بحث عن الحقيقة مخلص بذل فيه كل ما أمكنه من جهد .

وليس من المنطق أن يعذر فريق من المسلمين في القول بأن أبا بكر كان خليفة رسول الله (ص) الشرعي الأول ، بالرغم من أن الرسول (ص) لم ينطق بتصريح يدل على إستخلافه إياه وأن لا يعذر فريق آخر من المسلمين في القول بأن علياً بن أبي طالب (ع) هو الخليفة الشرعي الأول في حين إن المسلمين يجمعون على أن الرسول (ص) قال لعلي (ع) : " أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي ؟ كما ثبت إن الرسول (ص) أعلن للمسلمين إنه ترك لهم كتاب الله وعترته وأنهم إذا تمسكوا بهما أمنوا من الضلال .

❖ ويأتي السؤال عن ما هو الضلال؟

ذكرت بحوث في الخلافة قد وضحت بجلاء تلك الأمور التي تصلح لأن تكون أساساً لتفاهم إسلامي عام وفي تلك الأمور ما يلي:

❖ رداً على من قال الإستخلاف إبداعاً

أ) أن القول بأن علياً (ع) قد إختاره الرسول (ص) لقيادة الأمة لم يكن إبداعاً في الدين ولا إنحرافاً عن الإيمان ولا إدعاء تعوزه الحجة ، بلى إنه من الإسلام ومن جادته المستقيمة ، ويتفق مع طبيعة تعاليم الإسلام، وما كان الإستخلاف بدعا في الإسلام فقد إستخلف أبو بكر عمر إحتياطاً للإسلام والمسلمين ، وما كان أبو بكر أشد حرصاً على مستقبل الإسلام والأمة من الرسول الأعظم (ص) .

إن القول بإختيار الرسول (ص) لعلي (ع) وتعيينه خلفا له هو قول له ما يدعمه من المنطق وله ما يدعمه من السنن المستفيضة ، فالمسلمون لا يجادلون في صحة حديث المنزلة وحديث غدير خم وسواهما من الصحاح التي يفهم منها الشيعة إنها تدل إختيار الرسول (ص) علياً (ع) للخلافة ، وللسنة أن يجادلوا في دلالة هذه الأحاديث على إستخلاف علي (ع) ، وما من شك بأن لهم الحق في أن لا يفهموا منها أن الرسول (ص) إختار علياً (ع) لقيادة الأمة ، ولكن ليس لهم الحق أن ينكروا على الشيعة أن فهموا منها ان الرسول (ص) إستخلفه .

ولن يجعل الإيمان بدلالة هذه الصحاح على إستخلاف الرسول (ص) لعلي (ع) ولا الإيمان بعدم دلالتها على ذلك أيّا من الفريقين مدخول الإيمان أو ناكباً عن الصراط .

❖ كان من الأصحاب شيعة لعلي (ع) وكان النبي (ص) يحبهم

ب) ان التشيع لعلي (ع) وبقية العترة الطاهرة لم يكن أمراً حادثاً بعد وفاة الرسول (ص) ولا كان رأياً جديداً في الإسلام قال به قوم لم يعاصروا الرسول (ص) ولم يسمعوا منه ، كلا إنه مبدأ إعتنقه رجال من أعلام صحابة الرسول (ص) الذين زكاهم (ص) وشهد بصدقهم وإنهم على حق .

من هؤلاء أبو ذر الغفاري الذي قال فيه (ص) : " ما اظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء اصدق من أبي ذر وإنه يمشي في الأرض بزهد عيسى بن مريم " [١٠٦].

وعمار بن ياسر الذي قال الرسول (ص) له ولأبويه :

" صبراً يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة " ، وقال له أيضاً :[١٠٧] " أبشر يا عمار تقتلك الفئة الباغية " [١٠٨] .

والمقداد بن الأسود الذي قال الرسول (ص) فيه وفي علي (ع) وأبي

---

(١٠٦) صحيح الترمذي ج٥ ص٣٣٤ (رقم الحديثين ٣٨٨٩ و ٣٨٩٠)
(١٠٧) المستدرك للحاكم ج٣ ص٣٨٣ .
(١٠٨) سنن الترمذي ج٥ ص٢٣٣ .

ذر وسلمان : إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني إنه يحبهم ، فقيل له من هم يا رسول الله (ص) ؟ فقال : علي (ع) منهم (يكرر ذلك ثلاثاً) وأبو ذر وسلمان والمقداد " (١٠٩) .

وسلمان الفارسي الذي قال فيه رسول الله (ص) وفي علي (ع) وعمار : إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة : " علي (ع) وعمار وسلمان " (١١٠) .

وابن عباس الذي قال فيه الرسول (ص) : " اللهم علمه التأيل وفقه في الدين وإجعله من أهل الإيمان " (١١١) .

كل هؤلاء وعديد من الأصحاب سواهم كانوا شيعة لعلي (ع) حتى في أيام الخلفاء الثلاث وكانوا يرون إن الخلافة حق لأهل بيت الرسول (ص) ، ولو كان لديهم أعوان لقاتلوا في سبيل إيصال علي (ع) إلى الخلافة ، وقد دعا عمار والمقداد الإمام إلى القتال بعد ما بويع الخليفة الثالث ، ولكن الإمام إمتنع عن ذلك .

وليس من المعتقد إن من الشيعة الإمامية من يتمكن أن يكون أكثر تشيعاً لعلي (ع) بن أبي طالب من أبي ذر الذي روى إن الرسول (ص) قال : " من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع علياً (ع) فقد أطاعني ، ومن عصى علياً (ع) فقد عصى الله ، ومن أطاع علياً (ع) فقد أطاعني ، ومن عصى علياً (ع) فقد عصاني " (١١٢) ،

---

(١٠٩) سنن ابن ماجة ج١ ص٥٣ (رقم الحديث ١٤٩) .
(١١٠) سنن الترمذي ج٥ ص٣٣٢ (رقم الحديث ٣٨٨٤) .
(١١١) المستدرك للحاكم ج٣ ص٥٣٦ .
(١١٢) المستدرك للحاكم ج٣ ص١٣١ .

وإنه قال لعلي (ع) : " يا علي (ع) ، من فارقني فقد فارق الله ومن فارقك فقد فارقني " [113] .

وقد قال وهو آخذ بباب الكعبة : من عرفني فأنا من عرفني ومن أنكرني فأنا أبو ذر ، سمعت النبي (ص) يقول : ألا إن مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من قومه ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق " [114] .

---

(١١٣) المستدرك للحاكم ج٣ ص١٤٤ .
(١١٤) المستدرك للحاكم ج٣ ص١٥١ .

❖ ما هي الشرعية للخلافة الإنتخابية وسلبياتها ؟

ت) إذا لم يكن الرسول (ص) عهد إلى شخص معين ليقود الأمة من بعده أو عهد إلى شخص معين ولكن الأصحاب لم يروا في كلمات الرسول (ص) دلالة واضحة على إنه عهد إليه ثم إختارت الأمة قائداً كأبي بكر تكون خلافة الشخص المنتخب شرعية ، لأن للمسلمين حقاً طبيعياً في أن يفوضوا من شاؤوا في تدبير شؤونهم ، فتكون البيعة عقداً بين الناخبين والقائد المنتخب يجب الوفاء به مادام المنتخب وفياً بالشروط التي تضمنتها البيعة ، فإذا كانت البيعة على كتاب الله وسنة نبيه كان على الناخبين الطاعة للمنتخب مادام المنتخب يعمل طبقاً للكتاب والسنة .

غير إن الخلافة التي تأتي بالإنتخاب بالرغم من صحتها تحمل معها جانبين سلبيين :

١) إنه لا حرج على أي مسلم في أن يمتنع عن بيعة خليفة من هذا النوع وأن بايعته الأكثرية ، فيجوز لأقلية ان تمتنع عن بيعته وأن لا تتفق مع الأكثرية وإن لا ترى أهليته للقيادة ، لإن خلافته ليست بعهد نبوي ولا من وحي السماء ، فهي ليست بأمر الله ولا بأمر النبي (ص) ، فليس في موقف سلبي تجاهه ما يعتبر مخالفة للكتاب أو السنة ، نعم يكون من الواجب من يقف منه هذا الموقف ان لا يشق عصا المسلمين وان لا يعرقل سير إدارة الحكومة التي يرأسها الخليفة ، بل عليه أن يطيعه فيما هو طاعة لله لقوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول (ص)

وأولي الأمر منكم " ، بناء على إن كلمة " أولي الأمر " تشمل من لم يؤمره الرسول (ص) .

وإذا كان لأقلية أن لا تبايع من بايعته الأكثريه ، فليس للمنتخب أن يجبر من لم يبايعه على البيعة ، وإذا حاول إجباره كان ظالماً مغتصباً للحرية .

وإن من متواتر التاريخ إن الصحابيين سعداً بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر أمتنعا عن بيعة الإمام علي (ع) فلم يجبرهما الإمام على البيعة ، ولم يرَ المسلمون في امتناعهما عن البيعة إثما بالرغم من إن كلا منهما كان يعرف كفاءة الإمام وعظيم مؤهلاته وبارز فضله ، وقد امتنع الإمام عن ان يبايع أبا بكر واستمر على امتناعه ستة أشهر ، ولولا إشتعال حروب الردة في زمن الخليفة الأول لإستمر الإمام في سلبيته ، وما كان يرى حرجاً في ذلك .

وهذا ما تسير عليه الأمم الحرة في هذا العصر ، حيث تنتخب الرئيس أكثرية وتنتخب منافسه أقلية لا تعتقد بأهلية الفائز وكفائته ، وبعد الإنتخاب لا تحاول الأكثرية أن تجبر الأقلية أن تغير لاءها بنعم ، بل تستمر الأقلية في معارضتها دون ان تحاول عرقلة الإدارة الفائزة .

وإذا كان لمن عاصر الخليفة المنتخب الحق في أن يمتنع عن بيعته ، فإن للأجيال التي تأتي بعد الخليفة كامل الحق في أن تعتقد أو أن لا تعتقد بكفاءته وصواب بيعته .

فتأيثم هؤلاء لموقفهم السلبي أو الإيجابي تجاه خلفاء ماتوا قبل قرون ليس من الدين بل زيادة على الدين لا مسوغ لها .

٢) الخليفة المنتخب إذا كان صاحب لا يعدوا أن يكون مجتهداً تقياً يجوز لمجتهد آخر أن يخالفه في الرأي ، ويجوز لغير المجتهد أن يقلد سواه من المجتهدين ، وقوله لا يصبح قانوناً شرعياً لأنه ليس معصوماً عن الخطأ ، وإنتخاب الأكثرية له لا يغير من شخصيته ، فلا يصبح معصوماً إذا لم يكن كذلك قبل الإنتخاب ولا يجعله واسع العلم إن كان محدود العلم .

وعلى العكس يكون الأمر حين يكون الخليفة معيناً بعهد من النبي (ص) ، حيث ينتفي الجانبان السلبيان المذكوران ، لذلك يجب على الأمة أن تتقبل قيادته ولا يجوز لأحد أن يعارضه أو يمتنع عن بيعته لأن الإمتناع عن بيعته يكون مخالفة لأمر الرسول (ص) ، كما أن أوامره ونواهيه الدينية تصبح قوانين إسلامية ، لأن قداسته تنبع من قداسة الرسول (ص) ، وإختياره إياه يدل على إنه يراه أعلم المسلمين بكتاب الله وسنن الرسول (ص) ، فأمره أمره وقوله قوله .

❖ الأخذ بتعاليم أهل بيت الرسول (ص)

ويجب على المسلمين أن يتبعوا تعاليمهم ، لأنها تتفق مع القرآن اذ صرح بأن القرآن والعترة لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض (يوم القيامة) .

وإذا كان لعلماء المسلمين أن يتجادلوا في دلالة الحديث على إستخلاف الرسول (ص) لأهل البيت (ع) فليس من المنطق أن يجادل أحد في أن النبي (ص) أراد من المسلمين أن يأخذوا بتعاليمهم .

وإن من نافلة القول أن نؤكد صحة حديث الثقلين بعدما رواه نحو من عشرين صحابياً ، وإذ يقول علماء المسلمين بلزوم الأخذ بفتاوى أئمة المذاهب الأربعة مع إنهم لم يرد عن النبي (ص) أي حديث في شأنهم وفتاواهم فإنا لا نجد مبرراً لأعراض هؤلاء العلماء عن تعاليم أهل بيت الرسول (ص) بعدما شهد لهم الرسول (ص) بأنهم حلفاء القرآن الذين لا يفارقونه .

وإن أقل ما ينبغي أن يفعله المسلمون تجاه تعاليم أهل البيت (ع) أن يضعوهما على قدم المساواة مع المذاهب الأربعة .

والواقع إن إتباع المذاهب الأربعة وقفوا من فتاوى أئمة أهل البيت (ع) موقف الريبة والإنكار دون أن يعرفوا تلك الفتاوى وحسبوها وهم لا يعرفونها غير جديرة بالإهتمام والإعتبار ، وفي هذا نرى إن إتباع المذاهب الأربعة في موقفهم هذا لم يوافقوا أئمتهم ، لأن أبو حنيفة تتلمذ عند الإمام جعفر الصادق وكان يراه أعلم أهل زمانه بالشريعة .

إن المنصور أمر أبا حنيفة أن يعد للإمام الصادق عديداً من المسائل الصعبة ، فسأل أبو حنيفة الإمام الصادق في حضرة المنصور أربعين مسألة فأجاب عن كل واحدة منها وزاد على ذلك بأن ذكر له ما يقوله علماء العراق وما يقوله علماء الحجاز وما يقوله أهل البيت (ع) في كل واحدة من تلك المسائل ، وعلق أبو حنيفة على ذلك قائلاً : " إن أعلم الناس أعلمهم بآراء الناس " ، وقال أبو حنيفة يصف شعوره عندما دخل على المنصور وعنده جعفر الصادق (ع) جالس عن يمينه ، فلما بصرت به دخلني من الهيبة لجعفر الصادق ما لم يدخلني لأبي جعفر (المنصور) " ، يقول هذا والمنصور كان يحكم العالم الإسلامي والصادق ليس بيده من الأمر شيئ . (١١٥)

وكان الإمام مالك من تلامذته وممن أخذ عنه ، وقد روي عن مالك إنه قال : كنت آتي جعفر بن محمد ، وقد إختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على إحدى خصال ثلاث : إما مصلياً وإما صائماً وإما يقرأ القرآن وما رأتيه يحدث عن رسول الله (ص) إلا على طهارة ولا يتكلم فيما لا يعنيه ، وكان من العباد الزهاد الذين يخشون الله ، وما زرته إلا وأخرج الوسادة من تحته وجعلها تحتي .... " (١١٦) .

والإمام أحمد بن حنبل روى حديث الثقلين بعدة طرق ، فقد روى بطريقين عن زيد بن ثابت إن النبي (ص) قال : " إني تارك فيكم خليفتين : كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض (أو ما بين

---

(١١٥) الإمام الصادق ص٢٧ للشيخ محمد أبو زهرة .
(١١٦) المسند ج٥ ص٧٦ - ٧٧ .

الأرض والسماء) ، وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض " [117] .

وروى عن أبي سعيد الخدري إن الرسول (ص) قال : " إني أوشك أن أدعى فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله عز وجل وعترتي ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإن اللطيف أخبرني إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ، فانظروني كيف تخلفوني فيهما " [118]، ورواه أيضاً عن زيد بن أرقم [119] .

وقد قال الشيخ محمد أبو زهرة وهو من أكابر علماء السنة المعاصرين : ما أجمع علماء الإسلام على إختلاف طوائفهم في أمر إجماعهم على فضل الإمام الصادق وعلمه ، فأئمة السنة الذين عاصروه تلقوا عنه وأخذوا ، أخذ عنه مالك وأخذ عنه طبقة مالك كسفيان بن عيينه وسفيان الثوري وغيرهم كثير ، وأخذ عنه أبو حنيفة مع تقاربهما في السن وإعتبره أعلم الناس ... [120] .

أما تشيع الإمام الشافعي لأهل البيت (ع) فهو معروف ونقله الثقاة من العلماء ، وقد ذكر الإمام الرازي في تعليقه على الآية الكريمة : **﴿قل لا أسألكم عليه إجراً إلا المودة في القربى .... ﴾** إن الإمام الشافعي نظم ما يلي :

---

(١١٧) المسند ج٥ ص١٨١ .
(١١٨) المسند ج٣ ص١٧ .
(١١٩) المسند ج٤ ص٣٧١ .
(١٢٠) الإمام الصادق للشيخ محمد أبي زهرة ٦٦ .

يا راكـــبـــاً قف بالمحـــــصب مـن منى

واهتف بســاكن خـــيـــفــهـــا والنـاهـض

ســحـــراً إذا فـــاض الحــجـــيج إلـى منى

فـــيـــضـــاً كـــملتطم الفـرات الفـــائض

إن كـان رفـــضــــاً حـب آل مــــحـــمـد

فليـشــهـــد الثـــقـــلان إني رافـضـي[١٢١]

وذكر إبن حجر في الصواعق المحرقة إن الشافعي قال :

آل الـنـبـي (ص) ذريـعـــــــــتـــي

وهـــم إلـيـــه وســـــــــيـلـتـي

أرجـــو بـــهـــم أعــطـــى غـــداً

بيــدي اليـــمين صـــحـــيــفــتي[١٢٢]

وقوله :

يا آل بيت رســـول الله (ص) حــــبكـم

فـــــرض مـن الله في القــــرآن أنزلـه

يكفـــــيكم مـن عظيـم الفــــخـر إنـكـم

مـن لـم يصل عليكم لا صـــــلاة لـه[١٢٣]

---

(١٢١) التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي في شرح سورة الشورى .
(١٢٢) الصواعق المحرقة لإبن حجر ص١٠٨ (نقله الفيروزبادي في فضائل الخمسة مجلد٢ ص٨١) .
(١٢٣) نور الأبصار للشبلنجي ص١٠٤ .

إن أئمة المذاهب الأربعة علماء مجتهدون ، أما الأمور الواضحة في الإسلام فليس فيها إجتهاد ولا رأي ولا مذهب ، فلا يقال مثلاً إن مذهب أبي حنيفة أو سواه من الأئمة هو وجوب خمس صلوات في اليوم والليلة أو أن صلاة الصبح ركعتان وإن كلا من صلوات الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات وإن صلاة المغرب ثلاث ركعات ، هذه أمور لا إجتهاد فيها ولا رأي لأننا نعلم إنها من صلب الإسلام .

إن الإجتهاد يكون في الأمور التي يعوزها الوضوح لفقدان النص أو إجماله أو لتعارض النصوص ، حيث يصبح حكم الله غير معلوم لدى العلماء .

يجتهد الأئمة ويختلفون ، مثلاً ، في أنه هل يجب وضع المصلي حال القراءة ، إحدى يديه على الأخرى ؟ أم يجوز له إرسال يديه ؟ وهل على المصلي أن يبدأ الفاتحة بالتسمية ؟ أم لا يجب عليه ذلك ؟ وهل في صلاة الجمعة أذانان ؟ أم هنالك أذان واحد ؟ وهل يجب غسل الرجلين في الوضوء ؟ أم يجب مسحها ؟ وهل ينتقض الوضوء بمصافحة المرأة ؟ أم لا ينتقض ؟

لقد وقع الخلاف في هذه المسائل وأمثالها لأن العلماء لم يتجهدوا في كتاب الله والمعلوم من سنن الرسول (ص) نصوصاً واضحة فيها ، فاجتهدوا فيها ووقع بسبب ذلك الخلاف بين الأئمة ، ولأن تلك الآراء تتناقض لا يمكن أن تتفق جميعها مع تعاليم الرسول (ص) لأن تعاليم الرسول (ص) لا تتناقض، إذ لا يمكن أن يقول النبي (ص) ، مثلاً إن مصافحة المرأة تنقض الوضوء ثم يقول بأنها لا تنقضه .

وإذا أخذنا أيا من الرأيين بمفرده فإن من الممكن أن يكون متفقاً مع ما قاله الرسول (ص) ولكنا لا نتمكن أن نجزم بذلك لأن المفروض إننا لن نعرف على وجه اليقين ما قاله الرسول (ص) في المسألة المبحوثة .

هذا فيما يتعلق بآراء المجتهدين ، إما تعاليم أهل البيت (ع) فإنها لا تتناقض فإنهم لا يجتهدون في أحكام الشريعة بل يعرفونها معرفة يقينيه ، وما قاله واحد منهم كالإمام جعفر الصادق هو ما قاله جميع أئمة أهل البيت، وما قالوه هو ما قاله رسول الله (ص) ، فما يقولونه هو رواية يرويها الواحد منهم عن أبيه عن جده إى أن تتصل روايته إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، وما يقوله أمير المؤمنين هو ما يقوله الرسول (ص) .

وقد روي إن الإمام الصادق قال : " حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدي ، وحديث جدي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين ، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله (ص) ، وحديث رسول الله (ص) قول الله " (١٢٤) .

وقد روي في هذا الصير في إنه كان مع الحكم بن عيينه عند أبي جعفر محمد بن علي (ع) الباقر فجعل يسأله فقال أبو جعفر :

" يا بني قم فاحضر كتاب علي (ع) ، فأخرج كتاباً مدرجاً عظيماً ففتحه وجعل ينظر حتى أخرج المسألة ، فقال أبو جعفر : هذا خط علي (ع) وإملاء رسول الله (ص) ، وأقبل على الحكم وقال : " يا أبا محمد ،

---

(١٢٤) الكافي للمحدث الكليني نقله الشيخ أبو زهرة في كتابه الإمام الصادق ص٤٢٨ .

إذهب أنت وسلمان والمقداد حيث شئتم يميناً وشمالاً ، فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل " [(١٢٥)] .

هاتان الروايتان وأمثالهما مما رواه المحدثون من أتباع أهل البيت (ع) تتطابق في مدلولها مع حديث الثقلين المتواتر الذي رواه المحدثون من أهل السنة عن نحو من عشرين صحابياً ، والحديث يشهد ، كما أسلفنا، إن تعاليم أهل البيت (ع) صحيحة توافق ما قاله الله ورسوله لأن الله أخبر الرسول (ص) بأن الكتاب وعترته لا يفترقان حتى يردا الحوض ، وإن الكتاب والعترة يمثلان ضمانة ضد الضلال .

ومن أجل ذلك تكون تعاليم أهل البيت (ع) نفس تعاليم الرسول (ص) التي عرفها أئمة أهل البيت (ع) معرفة اليقين ، وليست أراء ظنية أدت إليها إجتهاداتهم، شأن إجتهادات أئمة المذاهب الأربعة.

ولست أعني من هذا إن علماء الشيعة ومحدثيهم يعرفون جميع ما حدث به أهل البيت (ع) معرفة يقين ، كلا ، فإن الكثير من تعاليمهم لم يعرفها علماء الشيعة معرفة اليقين لأنها وردت في أخبار آحاد أو لأن بعض الروايات التي جاءت عنهم في بعض الأحكام جاءت متعارضة أو غير واضحة الدلالة .

ولكن هذا لا يضر ، فما روي عنهم حاله حال ما روي عن الرسول (ص) نفسه ، فالأحاديث النبوية في أكثريتها المطلقة أخبار آحاد ، ومنها ما هو متعارض ، ومنها ما هو غير واضح الدلالة ، وبالرغم من

---

(١٢٥) الكافي للمحدث الكليني نقله الشيخ أبو زهرة في كتابه الإمام الصادق ص٤٢٥ .

ذلك فإنه لا يجوز لنا أن ننزل بالأحاديث النبوية إلى مستوى آراء المجتهدين ، لأن الحديث النبوي إذا كان متواتراً أو مستفيضاً افادنا العلم أو ما يشبه العلم بحكم الله ، وإذا كان من أخبار الآحاد التي رواها العدول أو الثقاة وليس لها معارض مثلها وجب الأخذ به ولا يجوز العدول عنه إلى أي رأي أدى إليه إجتهاد مجتهد .

وكذلك تعاليم أهل البيت (ع) التي يشهد الرسول (ص) بأنها أمان من الضلال وموافقة للقرآن يجب العمل بها إذا ثبتت بالتواتر أو ما يشبهه أو جاءت في رواية العدول أو الثقاة دون أن يعارضها ما هو مثلها .

أما الرأي الذي يصل إليه إجتهاد مجتهد فليس يجب على المسلمين الأخذ به وإن ثبت بالتواتر صدوره عن المجتهد ، إذ يجوز لمجتهد آخر أن يخالفه ويجوز لعامة المسلمين أن يأخذوا بفتوى المجتهد الآخر.

هذا ما يراه علماء إتباع أهل البيت (ع) وما نراه ، وللعلماء الآخرين أن لا يوافقونا على هذا الرأي ، ولكل حقٍ حقه في تكوين رأيه وعلى الله أجره .

ولكنه يحزننا ونرى إنه أقل من الإنصاف أن لا توضع تعاليم أهل البيت (ع) على قدم المساواة مع فتاوى أئمة المذاهب الأربعة بالرغم من كل ما قاله الرسول (ص) في عترته وبالرغم من أنه لم يقل شيئاً في الأئمة الأربعة .

❖ **وعلى هذا نقول : لماذا لا يأخذ علماء السنة والجماعة بما روي عن أهل البيت (ع) ؟**

ويعتذروا بعض علماء السنة والجماعة بأنهم لا يرون إتباع ما روي من تعاليم أهل البيت (ع) لأنهم لا يثقون بمن رووا تلك التعاليم ، ويعني ذلك أنهم لا يثقون برواية المحدثين من الشيعة ، ولكن إذا أريد معرفة تعاليم إمام هل يرجع في معرفته إلى غير إتباعه أم إلى إتباعه ؟ وهل يحق للشيعة إذا أرادوا معرفة رأي إمام كأبي حنيفة أن يقولوا إننا لا نتمكن أن نأخذه من أتباعه لأننا لا نثق بهم ؟

ومتى إشترط الله ورسوله أن يكون الرواة سنة أو إن لا يكونوا شيعة ؟ لقد نهانا الله عن الأخذ برواية الفاسق إذ قال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ ، فتبينوا أن لا تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** ﴾ ، وليس التشيع لأهل البيت (ع) وحبهم وإتباع تعاليمهم فسقاً ولا عدم التشيع لهم حسنة تثبت العدالة ، بلى إن التشيع لأهل البيت (ع) توكيد للعدالة وحسنة كبرى ذكر الله في كتابه إنه يضاعفها ، إذ إمر نبيه أن يعلم المسلمين بأن مكافأتهم له على أداء الرسالة هي مودتهم لأهل بيته فقال له : ﴿ **قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيهِ أَجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى وَمن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ حُسْناً إنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ** ﴾[١٢٦] ، وقد عرفت ان عديداً من أعلام الصحابة كانوا شيعة لأهل بيت الرسول (ص) ، وقد سأل الرسول (ص) ربه أن يحب من يحب علياً (ع) حينما قال : اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه .

---

(١٢٦) سورة الشورى : أية ٢٣ .

إن من واجب علماء المسلمين أن يقوموا بحملة تصحيحية تزيل من أذهان المسلمين ما رسب فيها من تعصب هو من مخلفات الأجيال الماضية يوم كان الأمويون ومن جاء بعدهم يعاقبون المسلمين من أجل حبهم لعلي (ع) وبقية أهل بيت الرسول (ص) ويرمونهم بالتهم التي كانوا هم أولى بها .

وعلى علماء المسلمين أن يعرفوا عامة المسلمين على حقيقة ثابتة : هي إن شريعة الله ليست مقصورة على مذهب من المذاهب ولا تابعة لأي منها وإن المذاهب الأربعة ليست الطريق الوحيد لمعرفة شريعة الإسلام .

وينبغي أن يعرفوهم على أبسط الحقائق وهي إن النبي (ص) لم يأمر بإتباع هذه المذاهب وإنها نشأت بعد وفاته بما يزيد على مئة سنة ، فكيف أصبح إتباعها شرطاً في الإسلام أو الإيمان ؟

إن الأئمة الأربعة علماء مجتهدون مؤهلون للإفتاء ، ولكن كيف يسوغ أن نعتقد بأن الإجتهاد والأهلية للإفتاء مقصوران عليهم ، وهل عقمت النساء في جميع الأجيال عن أن تلد مثلهم ؟ إنا نعتقد بأن الرسول (ص) خاتم الأنبياء لأن الله أخبرنا في كتابه العزيز إن محمداً خاتم النبيين ، ولكن كيف نقول بأن الإمام أحمد بن حنبل آخر الأئمة الأربعة هو خاتم المجتهدين وإنه لن يأتي بعد الأئمة الأربعة مؤهل للفتوى ؟ وهل أخبرنا الله ورسوله بذلك ؟

إن ما تيسر وما يتيسر للعلماء الذين أتوا ويأتون بعد الأئمة الأربعة من كتب الحديث ومصادره المعتبرة لم يتيسر مثله عدداً وخصوبه للأئمة الأربعة ، فأحرى أن يفتح باب الإجتهاد وبعدهم للعلماء الأعلام بدلاً من أن يقفل هذا الباب ويختم إلى الأبد دون أي مبرر معقول .

وإذا أردنا أن نتناس هذا ونقول بإنسداد باب الأهلية للفتوى على جميع الأجيال بعد الأئمة الأربعة فكيف إنسد هذا الباب على أهل بيت الرسول (ص) وهم أساتذة الأولين من الأئمة الأربعة مالك وأبي حنيفة ؟

عزيزي القارئ أعرف إنه ليس من السهل تغيير تفكيراً إستقر في أذهان المسلمين عديداً من القرون ولكنه لن يكون ممتنعاً إذا قام عدد من العلماء المصلحين بحملة تصحيحية تثقيفية في شتى أنحاء العالم الإسلامي ، ولدى العلماء اليوم من وسائل الأعلام ما لم يوجد مثله في أي عصر سابق .

❖ فتوى شيخ الأزهر

في صيغة جواب على سؤال وجه إليه كما يلي :

" إن بعض الناس يرى إنه يجب على المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلد أحد المذاهب الأربعة المعروفة ، وليس من بينها مذهب الشيعة الإمامية ولا الشيعة الزيدية ، فهل توافقون على هذا الرأي على إطلاقه فتمنعون تقليد مذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية مثلاً ؟".

وكان جواب فضيلته ما يلي :

" **أولاً** " : يجوز لمن ليس من أهل الإجتهاد والنظر أن يقلد أي مذهب من مذاهب العلماء الموثوقون بعلمهم وصلاحهم بشرط أن يصل إليه ذلك المذهب من طريق منظبط يطمئن إليه سماعاً أو نقلاً .

" ولا عبرة بما يكتب في بعض الكتب عن إنحصار المذاهب التي يجوز تقليدها في الأربعة المشهورة ، ولا بما يقال من أن من قلد مذهباً فليس له أن ينتقل منه إلى غيره في ذلك يقول الشيخ عز الدين بن عبد السلام : لم يزل الناس يسألون من اتفق من العلماء من غير تقيد بمذهب ولا إنكار على أحد من السائلين إلى أن ظهرت هذه المذاهب ومتعصبوها من المقلدين ، فإن أحدهم يتبع إمامه مع بعد مذهبه عن الأدلة مقلداً له فيما قال ، كأنه نبي مرسل ، وهذا نأي عن الحق وبعد عن الصواب لا يرضى به أحداً من ذوي الألباب .

" **ثانياً** " : إن لفظ الشيعة الذي إشتهر به إتباع علي (ع) وآل بيته خاصة هو مأخوذ من المشايعة بمعنى المتابعة ، فشيعة الرجل أصحابه وأتباعه ....

" **ثالثاً** " : إن هناك فرقاً تنتسب إلى علي (ع) ، وهم شيعته المهتدون ... ومن هؤلاء الشيعة الصالحين الطائفة المعروفة "بالجعفرية" أو " بالإمامة الإثنا عشرية " .

" **رابعاً** " : إن لهذه الطائفة المعروفة أصولها المستمدة من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله المروية عن أئمتهم في العقيدة والشريعة ، وليس الخلاف بينهم وبين مذاهب السنة أعظم من الخلاف بين مذاهب السنة بعضها مع بعض .

" فهم يدينون بأصول الدين كما وردت في القرآن الكريم والسنة المتواترة ، كما يؤمنون بكل ما يجب الإيمان به ويبطل الإسلام بالخروج عنه من الأحكام المعلومة من الدين بالضرورة " .

" **خامساً** " : إن مذهبهم الفقهي مدون محرر له في كتبه وأسانيده وأدلته ، وإن مؤلفي هذه الكتب ومن إستمدوا منهم معرفون محفوظة سيرتهم العلمية ومكانتهم الفقهية بين العلماء .

وعلى هذا :

١- إن الإسلام لا يوجب على أحد من اتباع مذهب معين ، بل يقرر إن لكل مسلم الحق في أن يقلد بادئ بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة ، ولمن قلد مذهباً من

هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره - أي مذهب كان - ولا حرج عليه في شيئ من ذلك .

٢- إن مذهب الجعفرية المعروفة بمذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة .

" فينبغي على المسلمين أن يعرفوا ذلك وإن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة ، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب أو مقصورة على المذهب ، فالكل مجتهدون مأجورون ، مقبولون عند الله تعالى يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والإجتهاد تقليدهم والعمل بما يقرونه في فقههم ، لافرق في ذلك بين العبادات والمعاملات ". (١٢٧)

لقد كان ينبغي أن يصدر هنا الإعتراف في القرن الثاني الهجري يوم كانت المذاهب الأربعة في دور التكوين ، فمذهب الإمام جعفر الصادق هو مذهب أهل بيت الرسول (ص) الذين أعلن الرسول (ص) إنهم لا يفارقون القرآن وإن إتباع القرآن وإتباعهم ضمانة للأمة ضد الضلال ، وهو مذهب الإمام أمير المؤمنين علي (ع) الذي شهد له الرسول (ص) بأنه باب مدينة علمه .

ولكن سياسة الأمويين والعباسيين الذين جاؤوا بعدهم من الحكام فكانت ترى في الإعتراف بمدرسة أهل البيت (ع) خطراً عليها .

(١٢٧) جريدة الكفاح (البيروتية) ص٧ تاريخ ٨تموز سنة ١٩٥٩م نقلاً عن جريدة الشعب (المصرية) تاريخ ٧تموز سنة ١٩٥٩م .

وبالرغم من أن هذا الإعتراف تأخر عن وقته قروناً عديدة فإن مجرد صدوره دليل على بدء إتجاه جديد في تفكير علماء العالم الإسلامي ، وهو إتجاه إيجابي مبارك وخطوة أولى في الطريق الصحيح لو تتابعت الخطوات الإيجابية من بعدها لاستعاد العالم الإسلامي إخاءه ووحدته .

❖ المصادر:-

- القرآن الكريم .
- كتاب الغدير للشيخ الأميني .
- إبن هشام في سيرته .
- نهج البلاغة .
- مختصر كنز العمال .
- الإستيعاب .
- المراجعات لشرف الدين .
- صحيح الترمذي .
- الفضائل الخمسة للفيروزبادي .
- نهج البلاغة ، لإبن أبي الحديد .
- صحيح مسلم .
- كنز العمال .
- المستدرك .
- ينابيع المودة للقندوزي .
- حلية الأولياء .
- مسند أحمد .
- سنن إبن ماجه .
- مستدرك الحاكم .

- صحيح البخاري .
- الإمام الصادق (ع) ، للشيخ محمد أبي زهرة .
- التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي .
- الصواعق المحرقة ، لإبن حجر .
- نور الأبصار للشبلنجي .
- الكافي للمحدث الكليني .
- سنن الترمذي .
- كتاب الإيمان .
- كتاب التفسير ، للبخاري .

❖ الإجازات التي حصل عليها المؤلف من مراجع التقليد .

- السيد أبو القاسم الخوئي .
- السيد عبد الأعلى السبزواري .
- السيد الكلبايكاني .
- السيد محمد الروحاني .
- السيد علي الحسيني السيستاني .
- الشيخ محمد علي الأراكي .
- السيد محمد الشيرازي .
- الميرزا الشيخ جواد التبريزي .

بسم الله الرحمن الرحيم

الوصيـــــة

الحمد لله الذي حثّ على الوصية ، قبل حلول المنية ، رأفة بعباده ، ليتداركوا ما فات ، وليزودوا ليوم المعاد .

أنه في ...../...../ ....١٤ , هـ الموافق ...../...../............م

أنا الموقع أدناه / ....

اللهم فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، الرحمن الرحيم ، إني أعهد إليك ، إني أشهد أن لا إله إلا أنت الله وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً صلى الله عليه وآله عبدك ورسولك ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وانك تبعث من في القبور ، وان الحساب حق ، وان الجنة حق ، وان النار حق ، وان الإيمان حق ، وان الدين كما وصفت ، وإن الإسلام كما شرعت ، وان القول كما أنزلت ، وانك انت الله الحق المبين ، إني أعهد إليك في دار الدنيا أنّي رضيت بك رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وآله نبياً وبالقرآن كتاباً ، وبعلي إماماً ، وبالحسن إماماً ،وبالحسين إماماً ، وبعلي بن الحسين إماماً ، وبمحمد الباقر إماماً ، وبجعفر الصادق إماماً ، وبموسى الكاظم إماماً ، وبعلي الرضا إماماً ، وبمحمد الجواد إماماً ، وعلي الهادي إماماً ، وبالحسن العسكري إماماً ، وبالمهدي بن الحسن إماماً .

اللهم أنت ثقتي عند شدتي ، ورجائي عند كربتي ، وعدتي عند الأمور التي تنزل بي ، وأنت وليي في نعمتي ، وإلهي وإله آبائي ، صلى الله على محمد وآله ، ولا تكلني إلى نفسي أبداً ، وآنس في القبر وحشتي ، واجعل لي عندك عهداً يوم ألقاك منشوراً .

وبعد : فإنّ .... أوصى وهو في تمام الصحة والإختيار ، إذا نزل بي الموت الذي لا بد منه ، أن أغسل وأحنط وأكفن بالواجب والمندوب ، وأن يصلى عليّ وأُدفن ، وأوصي بأن يكون :

محل الدفن :

وأن يكون تعمير القبر على النحو الآتي :

وأوصى بأن يصلى له ليلة الدفن (صلاة هدية .. صلاة الوحشة) عدد :

وأن يعطى عني صدقة للفقراء والمساكين وأيتامهم ليلة الدفن مبلغ :

وأن يقرأ على القبر قرآن (تونيسة) عدد :

وأوصي بأن ينفق عني صلاة يومية تمام سنة عدد :

وأوصي بأن ينفق عني صلاة يومية قصر سنة عدد :

وأوصي بأن ينفق عني صوم شهر عدد :

وأن يؤدى عني حجة إلى بيت الله الحرام وبعمرة .

وأوصي بأن ينفق عني رد مظالم ، مبلغ :

وأوصي بأن ينفق عني كفارات كبار عدد :

وأوصي بأن ينفق عني كفارات صغار عدد :

ولي من الأموال :

وعليّ :

وبذمتي من الحقوق الشرعية خمس :

زكاة :

وأوصي بأن ينفق عني من أموالي :

وقد جعلت الوصي من بعدي :

والناظر :

وأوصي بأن ينفق عني حق الوصاية والنظارة مبلغ :

وأوصي أهلي وولدي وأرحامي وأخواني المؤمنين والمؤمنات أن يكثروا لي من الإستغفار ، وأن يهدوا إليّ شيئاً من مبار أعمالهم ، ويشركوني في تطوعهم ، فإن الله عز وجل يجزل ثوابهم على ذلك ، ولا ينقصهم به شيئاً من أجورهم ، وأرجو (وصايا خاصة -إن كانت -)

فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه أنّ الله سميع عليم .

التاريخ في :

الشاهد :

الشاهد :

الموصي :

وفدت على الكريم بغير زاد	من الحسنات والقلب السليم
وحمل الزاد أقبح كل شيئ	إذا كان الوفود على الكريم

● ملاحظة اشطب ما لا يلزم .

الفهرس

الموضــــوع	رقم الصفحة

الفهرس